جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الأساليب البلاغية في أحاديث الرعاية الإنسانية في الصحاح الستِّة [اليتيم ـ المسكين ـ الأرملة] نموذجاً

إعداد

د/ مى أحمد السيد طلحة

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفرالشيخ

(العدد الثامن والثلاثون)

(الإصدار الأول .. فبراير)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية ـ محكمة ـ ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

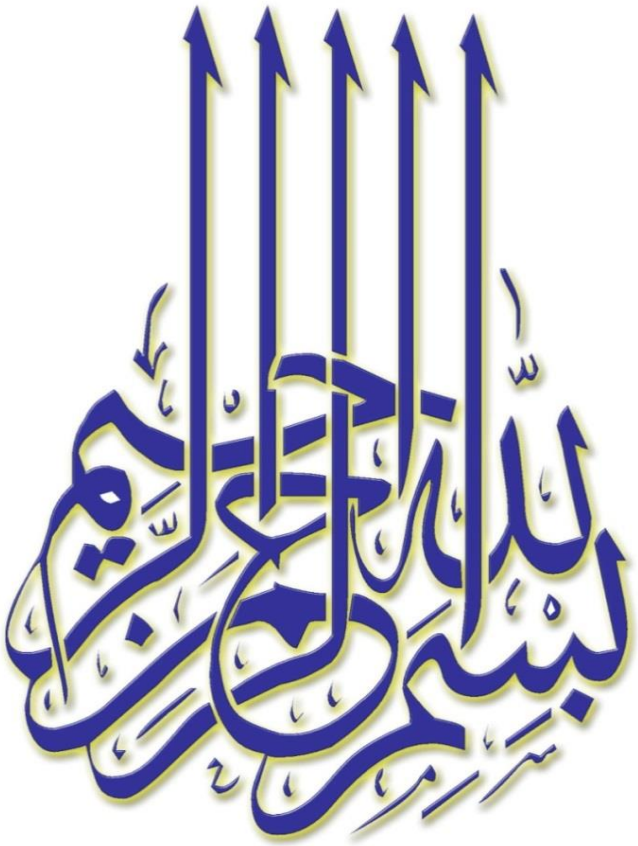
بسم الله الرحمن الرحيم

الأساليب البلاغية في أحاديث الرعاية الإنسانية في الصِّحاح السِّتة [اليتيم . المسكين . الأرملة] نموذجًا

مى أحمد السيد طلحة

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفرالشيخ، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني: maytalha.134 @azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على فئة مهمة في المجتمع تحتاج إلى مزيد من العناية والاهتمام في البيان النبوي، ويهدف إلى التعرف على سياقات " الأساليب البلاغية في أحاديث الرعاية الإنسانية في الصِّحاح السِّتة] اليتيم – المسكين– الأرملة[، وبيان الأسرار والدقائق الكامنة وراء التعبير بهذه الأساليب، وبيان أسرار تنوع الأساليب البلاغية المحورية تنوعًا يدل على نصاعة بيانه (صلى الله عليه وسلم)، وروعة أسلوبه، وعذوبة منطقه، كما يهدف إلى التعرف على سر اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهؤلاء الضعفاء، وكيف تكامل البيان النبوي مع البيان القرآني في العناية بهؤلاء الضعفاء؟ ويقوم هذا البحث على ثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمة وتمهيد: المبحث الأول بعنوان: الأسلوب الخبري، ويشتمل على ثلاثة أمور: أولًا: القصر، وله سياق واحد: سياق : الترغيب في تحرِّي موضع الصدقة من المسكين، ثانيًا: الشرط، وله سياقان: السياق الأول: الترغيب في الاهتمام والعناية بـ" اليتيمة"، السياق الآخر: الترغيب في الصدقة على المسكين ولو بالقليل، ثالثًا: الترقي، وله سياق واحد: سياق: الترغيب والحث على التصدق على المسكين القريب، المبحث الثاني بعنوان: الأسلوب الإنشائي، ويشتمل على ثلاثة أمور: أولًا: الأمر، وله سياقان: السياق الأول: الترهيب من أكل مال اليتيم، السياق الآخر: الترغيب في الإحسان إلى المساكين وتقريبهم، ثانيًا: النهي، وله سياق واحد: سياق: الترهيب من التولِّي

على مال اليتيم، ثالثًا: النداء،وله سياق واحد: سياق: الترهيب من التعدِّي على حق اليتيم والمرأة، المبحث الثالث: التشبيه، وله سياقان: السياق الأول: الترغيب في كفالة اليتيم، السياق الآخر: الترغيب في السعي على الأرملة والمسكين، ثمَّ جاءت الخاتمة وفيها أهم النتائج التي ترتب عليها البحث، ثمَّ فهرس المصادر والمراجع والموضوعات

الكلمات المفتاحية: الأساليب البلاغية، أحاديث الرعاية الإنسانية، الصِّحاح السِّتة، اليتيم، المسكين، الأرملة.

Rhetorical methods in the hadiths of human care in the six Sahihs [the orphan - the poor - the widow] as a model

Mai Ahmed El-Sayed Talha
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University, Egypt.
Email: maytalha.134 @azhar.edu.eg

Abstract:
This research, entitled “Rhetorical Methods in the Hadiths of Humanitarian Care in the Six Sahihs [Orphan - Poor - Widow]” (as a Model), seeks to shed light on an important category in society that needs more care and attention in the prophetic statement. It aims to identify the contexts of "rhetorical methods in the hadiths of humanitarian care in the six Sahihs [the orphan - the poor - the widow], and to explain the secrets and subtleties behind the expression of these methods, and to explain the secrets of the diversity of the pivotal rhetorical methods, a diversity that indicates the purity of his statement (PBUH), the magnificence of his style, and the sweetness of his logic. It also aims to identify the secret of the Prophet's (PBUH) interest in these weak people, and how the prophetic statement was integrated with the Quranic statement in caring for these weak people؟ This research is based on three sections preceded by an introduction and a preface: The first section is entitled: The news style, and includes three matters: First: Limitation, and it has one context: Context: Encouraging the investigation of the place of charity from the poor, Second: The condition, and it has two contexts: The first context: Encouraging the interest and care for the "orphan", The other context: Encouraging the charity to the poor even if it is little, Third: Progress, and it has one context: Context: Encouragement and urging to give charity to the poor relative. The second section is entitled: The constructional style, and includes

three things: First: The command, and it has two contexts: The first context: Intimidation from eating the orphan's money, The other context: Encouragement to be kind to the poor and bring them close, Second: The prohibition, and it has one context: Context: Intimidation from taking over the orphan's money, Third: The call, and it has one context: Context: Intimidation from violating the rights of the orphan and the woman.The third section: Simile, and it has two contexts: The first context: Encouragement to sponsor the orphan, The other context: Encouragement to strive for the widow and the poor. Then came the conclusion, and it contains the most important results that the research resulted from, then the index of sources, references and topics.

Keywords: Rhetorical methods, Hadiths on humanitarian care, The six Sahihs, The orphan, The poor, The widow.

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد (ﷺ) أفصح العرب بيانًا، وأعذبهم منطقًا وكلامًا وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهديه إلى يوم الدين...

وبعد،

فإن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، بعد كتاب الله – عز وجل– وإذا كان القرآن الكريم قد أعطى الرعاية الإنسانية حقها، وأوصى بالضعفاء وكرر هذه الوصية في أكثر من سياق في كتابه، فإن الرسول (ﷺ) قد راعى ذلك – أيضًا– ؛ وتكامل البيان النبوي مع البيان القرآني في هذا الجانب؛ حيث أوصى النبي (ﷺ) بالضعفاء كذلك، وخاصة (**اليتيم– المسكين– الأرملة**) وصعد الوصية بهم ترغيبًا في الإحسان إليهم، وتحذيرًا من إهانتهم والمساس بهم.

وقد سلك النبي(ﷺ) في سبيل هذه الغاية العظيمة منهجًا سديدًا في الإقناع العقلي، والتأثير الوجداني، وذلك عبر أساليب بلاغية متنوعة تدل على نصاعة بيانه، وروعة أسلوبه، وعذوبة منطقه.

ومن ثمَّ كان هذا الموضوع " **الأساليب البلاغية في أحاديث الرعاية الإنسانية في الصِّحاح السِّتة (اليتيم– المسكين– الأرملة) (نموذجًا)**" الذي حظي بأحاديث عديدة تخص هذه الفئة المهمة في المجتمع جديرًا بدراسة بلاغية تبرز اهتمام الرسول (ﷺ) بهم، وتصوِّر العناية بشأنهم.

أهمية الموضوع ودوافع اختياره:

تتمثل أهمية الموضوع، من جهة أنه يدرس بلاغة البيان النبوي، ويكشف عن أهم خصائصه، وذلك من زاوية مهمة لم تنل حظها من الدراسة والبحث، وهي" الأساليب البلاغية في أحاديث الرعاية الإنسانية في الصِّحاح السِّتة (اليتيم– المسكين– الأرملة) (نموذجًا)" ، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة دوافع، منها:

١-اهتمام النبي (ﷺ) بالضعفاء، وخاصة **[اليتيم . المسكين . الأرملة]**؛ حيث شغل الاهتمام بشأنهم حيزًا كبيرًا في بيانه (ﷺ) يستحق التدبر والتأمل والتحليل.

٢-بيان سر هذا الاهتمام وتلك العناية بهؤلاء الضعفاء، وذلك في ضوء دعوته إلى وحدة المجتمع وبث روح المودة والألفة بين أفراده.

٣-تنوع الأساليب البلاغية المحورية التي اعتمد عليها الرسول (ﷺ) في الوصية بهم وفي التحذير من إهانتهم.

٤-تنوع الأساليب على حسب تنوع الموصى به.

٥-دور الأساليب البلاغية في إقناع المتلقي واستمالته للاستجابة للغرض المقصود.

٦-تكامل البيان النبوي مع البيان القرآني في الحرص على وحدة الأمة وتماسكها وذلك في ضوء رعاية الضعفاء، والاهتمام بشأنهم.

٧-لم يقتصر الرسول (ﷺ) في العناية والاهتمام بهم على الجانب المادي، وإنما تجاوز ذلك إلى الجانب المعنوي.

إشكالية الموضوع:

البحث يجيب عن أسئلة، هي:

١-ما سر اهتمام الرسول (ﷺ) بهؤلاء الضعفاء؟

٢-ما الأساليب البلاغية المحورية التي وظفَّها الرسول (ﷺ) لتُصوِّر هذا الاهتمام في الأحاديث؟

٣-ما سر تنوع هذه الأساليب؟

٤-ما الأساليب البلاغية الآخرى التي تآزرت مع هذه الأساليب البلاغية المحورية؟

٥-كيف تكامل البيان النبوي مع البيان القرآني في العناية بهؤلاء الضعفاء؟

٦- ما وجه الاقتران بين كل من [**اليتيم** . **المسكين** . **الأرملة]؟**

٧- يحاول البحث جاهدًا أن يجيب عن هذه التساؤلات وغيرها مما ينكشف له فى أثناء المعالجة والتحليل.

أهداف الموضوع:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- الوقوف على جانب التكامل بين البيان النبوي والبيان القرآني في الوصية بـ [**اليتيم** . **المسكين** . **الأرملة].**

٢- الوقوف على بيان مكانة الضعفاء [**اليتيم** . **المسكين** . **الأرملة]**، والاهتمام بشأنهم في بيان النبوة.

٣- معرفة الأساليب البلاغية المحورية التي وظفَّها الرسول (ﷺ) في بيان مكانة [**اليتيم** . **المسكين** . **الأرملة].**

٤- إبراز فاعلية الأساليب البلاغية المحورية وما تآزر معها في تصوير هذه المكانة.

٥- بيان سر الاقتران بين اليتيم والمسكين تارة، واليتيم والمرأة تارة، والأرملة والمسكين تارة أخرى.

٦- الكشف عن تنوع بنية الحديث في الوصية بهم، فتارة يجمع بين الاثنين وتارة ينفرد الحديث بالوصية بواحد منهم.

٧- إثراء الدرس البلاغي بأحاديث محللة تدور حول هؤلاء الضعفاء، وتكشف عن عِظم منزلتهم.

٨- الانتهاء إلى سمات بلاغية عامة تختص ببيان النبوة في حديثه عن هؤلاء الضعفاء.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتنقيب في الدراسات العلمية السابقة لم أجد دراسة علمية متخصصة في البلاغة النبوية عالجت هذا الموضوع وخصته بالبحث والدراسة، وهناك دراسة متخصصة تحمل عنوان: من أسرار النظم القرآني في بيان مكانة اليتيم، تأليف الدكتور / أحمد السيد طلحة داود، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

وهي في القرآن الكريم وليست في البيان النبوي، وأنها قد اختُصت بإفراد اليتيم دون غيره، كما أن هناك دراسة بلاغية بعنوان: من صور المجتمع الإسلامي في الحديث النبوي الشريف، تأليف/ شومة محمد مساعد الفاضلي البلوي- مجلة جامعة الملك عبد العزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج (٢٣)،١٤٣٦هـ- ٢٠١٦م، وهي دراسة عامة لا علاقة لها بموضوع البحث.

وهناك دراسات عامة في تخصصات أخرى، وهي:

١-الهدي النبوي في رعاية اليتيم [دراسة موضوعية] م.م/ زياد ناطق يحيى، مؤسسة الفيض الجامعية للتربية والتعليم والثقافة الإسلامية أيار ٢٠٠٧، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد (٦)، العدد (١).

٢-العناية باليتيم في ضوء القرآن الكريم، إعداد د/ فريدة محمد أحمد الغامدي، أستاذ مساعد بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

٣-حق اليتيم في التربية الإسلامية (دراسة فقهية)، إعداد الدكتورة/ أمينة مسعد مساعد الحربي، أستاذ مشارك قسم الشريعة والقانون كلية الشريعة والقانون، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية.

نطاق الدراسة:

وردت الوصية بـ **[اليتيم . المسكين . الأرملة]** في البيان النبوي في الصِّحاح

السِّتة في(٢٤) أربعة وعشرين موضعًا، ورد ذكر اليتيم في (٧) سبعة مواضع، والمسكين في (١٥) خمسة عشر موضعًا، والأرملة في (٢) موضعين، وفي هذه المواضع اقترن " **المسكين**" بـ "**اليتيم**" في (١) موضع، واقترن " **المسكين**" بـ " **الأرملة**" في (١) موضع، واقترنت " **الأرملة**" بـ " **اليتيم**" في (١) موضع.

وقد اقتصرت الدراسة على (١٠) عشرة أحاديث ؛ لأسباب، منها:

١- أنَّ هذه الأحاديث تمثِّل منتهى عناية الرسول (ﷺ) بهؤلاء الضعفاء، وذلك من خلال إفرادهم أو اقترانهم.

٢- أنَّ هذه الأحاديث تمثِّل أبرز الأساليب البلاغية التي وظفَّها الرسول (ﷺ) في بيان مكانة هؤلاء الضعفاء.

٣- أنَّ هذه الأساليب كافية في إبراز مكانة هؤلاء الضعفاء[**اليتيم . المسكين . الأرملة**].

فاقتصار البحث على هذه النماذج لا يعني أن غيرها ليس مجالًا للاهتمام، وإنَّما غيرها يمثِّل هذه الظاهرة.

منهج البحث:

يقوم منهج هذا البحث على المنهج الاستقرائي ، الذي يستقرئ الظاهرة، وعلى المنهج الوصفي، الذي يصف الظاهرة في سياقها، ويحللها تحليلًا بلاغيًّا يبرز أهم دقائقها وذلك في ضوء السياق والغرض المقصود.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة ، وفهارس، وبيان ذلك على النحو التالي:

المقدمة : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، دوافع اختياره، وإشكالية البحث وأهدافه، والدراسات السابقة ، ونطاق الدراسة، ومنهج البحث.

التمهيد : يتناول:

أولًا: مفهوم الرعاية الإنسانية.

ثانيًا: مفهوم [اليتيم ـ المسكين ـ الأرملة].

المبحث الأول:الأسلوب الخبري ، ويشتمل على ثلاثة أمور:

أولًا: القصر، وله سياق واحد:

سياق: الترغيب في تحرِّي موضع الصدقة من المسكين.

ثانيًا: الشرط، وله سياقان:.

السياق الأول: الترغيب في الاهتمام والعناية بـ " اليتيمة".

السياق الآخر: الترغيب في الصدقة على المسكين ولو بالقليل.

ثالثًا: الترقي، وله سياق واحد:

سياق: الترغيب والحث على التصدق على المسكين القريب.

المبحث الثاني: الأسلوب الإنشائي، ويشتمل على ثلاثة أمور:

أولاً: الأمر، وله سياقان:

السياق الأول: الترهيب من أكل مال اليتيم.

السياق الآخر: الترغيب في الإحسان إلى المساكين وتقريبهم.

ثانيًا: النهي، وله سياق واحد:

سياق: الترهيب من التولِّي على مال اليتيم.

ثالثًا: النداء، وله سياق واحد:

سياق: الترهيب من التعِّدي على حق اليتيم والمرأة.

المبحث الثالث: التشبيه، وله سياقان:

السياق الأول: الترغيب في كفالة اليتيم.

السياق الآخر: الترغيب في السعي على الأرملة والمسكين.

وأخيرًا جاءت الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم الفهارس الفنية.

تمهيد

ويشتمل على أمرين:

أولًا: مفهوم الرعاية الإنسانية.

ثانيًا: مفهوم [اليتيم ـ المسكين ـ الأرملة].

أولًا: مفهوم الرعاية الإنسانية:

يدور مفهوم الرعاية الإنسانية حول البرامج والخدمات والمنافع الموجهة لإشباع الحاجات الاجتماعية، والتي تعتبر شرطًا أساسيًّا لرفاهية المواطنين وتمكينهم من تحقيق أعلى مستويات الأداء لمهامهم الحياتية، كما يشير هذا المفهوم . أيضًا . إلى نسق منظم من الخدمات والمؤسسات يرمي إلى مساعدة الأفراد والجماعات للوصول إلى مستويات ملائمة للمعيشة والصحة، كما يهدف إلى قيام علاقات سوية بين الأفراد بتنمية قدراتهم وتحسين نوعية الحياة الإنسانية بما يتفق مع حاجات المجتمع، و. أيضًا . يشير مفهوم الرعاية الإنسانية بأنها مجموعة من الآليات والأنشطة المترابطة المستخدمة لتحقيق الاستقرار الشخصي للإنسان وتحريره من الحاجة والعوز والحرمان وحمايته من المشكلات التي تعوق إشباع احتياجاته الإنسانية الأساسية، وترتبط الرعاية الإنسانية بشكل مباشر وأساسى بحقوق الإنسان والتي تسعى لإشباع احتياجات الإنسان الأساسية المأكل، المشرب، الملبس، العون، الاقتصاد(١).

فالرعاية الإنسانية بهذا المفهوم تسعى لتحقيق الاحتياجات الأساسية للضعفاء، فهم في أشد الحاجة إليها، ومن ثمَّ كانوا محط عناية واهتمام الرسول (ﷺ)، فرغب في الإحسان إليهم، ورهب من التعدِّي عليهم.

(١) ينظر : الرعاية الإنسانية كمتغير لتحسين نوعية حياة المسنات، إعداد د/ أسماء عادل محمد سليم، مدرس التخطيط الاجتماعي . كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية . جامعة الفيوم . العدد (٢١).

ثانيًا: مفهوم [اليتيم . المسكين . الأرملة].

١)اليتيم:

اليُتم: انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه، وفي سائر الحيوانات من قبل أمه .. وكلُّ منفرد يتيم، يقال درة يتيمة، تنبيهًا على أنه انقطع مادتها التي خرجت منها، وقيل: بيت يتيم تشبيهًا بالدرة اليتيمة(١).

وهذه صريمة يتيمة: للرملة المفردة من الرمال ... وما في سيره يتم: ضعف وفتر وهو مستعار من حال اليتيم(٢).

ويقال: اليُتم: الانفراد، واليتيم: الفرد. واليُتْمُ واليَتَمُ: فقدان الأب. وقال ابن السكيت: اليُتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم، ولكن منقطع، وقال الليث: اليتيم الذى مات أبوه، فهو يتيم حتى يبلُغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليُتم، والجمع أيتام ويتامى ويتيمة، وفي الحديث: تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها؛ أراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها، فلزمها اسم اليُتم، فدُعيت به وهي بالغة مجازًا، قال المفُضَّل: أصل اليُتم الغفلة، وبه سمَّي اليتيم يتيمًا؛ لأنه يتغافل عن برِّهِ. وقال أبو عمرو: اليُتم الإبطاء، ومنه أُخِذ اليتيم، لأن البر يُبطئُ عنه. (٣)

٢)المسكين:

يقال: تمسكن، واستكان فلان: تضرَّع وكأنه سكن وترك الدَّعة لضراعته(٤).

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، ص ٨٨٩، دار القلم، الدار الشامية . دمشق . بيروت، ط: الأولى . ١٤١٢هـ.

(٢) ينظر:أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق / محمد باسل عيون السود، ٣٨٧/٢، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، مادة: (يتم).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٧٣١.

وقال: المسكين: من ليس عنده ما يكفي عياله أو الفقير والخاضع الضعيف الذليل وهي مسكينة والجمع مساكين(١).

والسُّكون: ضد الحركةِ. سكن الشيء يسكن سكونًا إذا ذهبت حركته، وأسكنه هو، وسكَّنَه غيره تسكينا، وكل ما هدأ فقد سكن.

وسكن الرجل، وأسكن، وتمسكن إذا صار مسكينًا. وتمسكن إذا خضع لله. والمسكنة: الذِّلة ، واستكان الرجل: خضع وذل، وهو افتعل من المسكنة، وكلها يدور معناها على الخضوع والذلة وقلة المال والحال السيئة، واستكان إذا خضع، والمسكنة، فقر النفس(٢).

٣)الأرملة:

يقال: أرمل: افتقر وفنى زاده وهو من الرمل، ومنه الأرملة والأرامل، وأرملت المرأة ورملت من زوجها ولا يكون إلا مع الحاجة(٣).

والأرملة: التي مات عنها زوجها؛ سميت أرملة لذهاب زادها وفقدها كاسبها ومن كان عيشها صالحًا به، من قول العرب: أرمل القوم والرجل إذا ذهب زادهم، قال: ولا يقال له إذا ماتت امرأته أرمل إلا في شذوذ، لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيِّمة عليه والرجل قيِّم عليها وتلزمه عيلولتها ومؤنتها ولا يلزمها شيء من ذلك(٤).

والملاحظ أن الرسول (ﷺ) في استعماله لهذه المصطلحات لم يخرج عن معانيها التي قررها أهل اللغة والتي تدور حول الضعف والخضوع والذلة والاستكانة وشدة الحاجة.

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٤٤٠/١. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: الثانية، كتبت مقدمتها، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م).

(٢) ينظر: اللسان، مادة: (سكن).

(٣) ينظر: أساس البلاغة، ٣٨٧/١.

(٤) ينظر: اللسان، مادة: (رمل).

المبحث الأول:

الأسلوب الخبري.

أولًا: القصر.

ثانيًا: الشرط .

ثالثًا: الترقي.

أولًا: القصر:

عرفه البلاغيون بأنه: تخصيص شيء بشي بطريق مخصوص(١).

ومن الأساليب البلاغية التي تجلَّي فيها عناية الرسول (ﷺ) بالضعفاء والاهتمام بشأنهم أسلوب القصر؛ وذلك لما يحققه هذا الأسلوب من قوة توكيد وحزم في الأمر، إذ لا مجال فيه للأخذ والرد، فـ " لو رتبنا أساليب التوكيد وأدواته العديدة، ترتيبًا تصاعديًا حسب قوة التأكيد، لكان القصر قمة وغاية، ذلك أنه تأكيد فوق تأكيد، لأنه يضغط جملتين في جملة فهو تركيز شديد في الأسلوب"(٢).

وقد استعمل الرسول (ﷺ) من طرق القصر، طريق العطف بـ" **لكن**"، وطريق العطف نص على المثبت والمنفي جميعًا ... في نسق واحد ولذا فإن هذا الطريق يمتاز بالأناة والمهل وبطء الإيقاع وإثارة التعقل الرزين تثبيتًا للمعنى، ونقشًا للصورة في القلب، لأنه غالبًا أمر خطير جليل(٣).

وقد جاء استعمال الرسول (ﷺ) لأسلوب القصر بالعطف في سياق الوصية بالمسكين خاصة في سياق واحد، وهو:

---

(١) ينظر : شروح التلخيص، ١٦٦/٢، دار السرور . بيروت.

(٢) أساليب القصر في القرآن الكريم، وأسرارها البلاغية، دكتور/ صباح عبيد دراز ، ص٩، مطبعة الأمانة، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣) ينظر : السابق، ص٢٥٣.

سياق: الترغيب في تحرِّي موضع الصدقة من المسكين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَالَ: « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ: الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ.»[1]

بدأ الرسول (ﷺ) هذا الحديث بتصحيح المفهوم الشرعي للمسكين فـ "ليس هو المسكين المتكامل في المسكنة، إذ هو يسأل فيعطى ما يقوته ويواري عورته، ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يعرفونه فيتصدقون عليه"[2].

خصائص بيان الرسول (ﷺ) في الوصية بالمسكين في هذا الحديث:

برزت العناية والاهتمام في وصية الرسول (ﷺ) بـ"**الْمِسْكِينُ** " هنا ، وذلك من خلال صياغة هذه الوصية في قالب الأسلوب المحوري المؤكد (القصر بطريق العطف بـ " **لكن**") فهو أقوى طرق القصر وآكدها من حيث إنه يصرح فيه بكل من المثبت والمنفي، أي المقصور عليه والمنفي عنه، بخلاف غيره فإن النفي فيه ضمني... وإن كانت مزية الإيجاز فيه تتضاءل بسبب هذا التصريح[3]، فبدأ بنفي صفة المسكنة بـ "**لَيْسَ**"، فقال: "**لَيْسَ الْمِسْكِينُ**" واصطفى من أدوات النفي "**لَيْسَ**"؛ لأنها وضعت بأصلها للنفي، ولا تفيد معنى غيره، ولذلك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة: باب: قول الله تعالى ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾، دار السلام . الرياض . ط: الثانية، ذو الحجة ١٤١٩هـ – مارس ١٩٩٩م. حديث رقم : (١٤٧٩).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، ٥٦/٦، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر . بيروت.

(٣) ينظر: دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، د/ محمد محمد أبو موسى، ص ٨٨، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

كان النفي بها أبلغ في هذا السياق، كما أنها تفيد استمرار النفي(١)، والمعني: ليس المسكين ما تراه وإنما هو ما غاب عن بصرك وفكرك، فقد يظن البعض أن المسكين الذي يدور ويتردد على الناس أنه هو المسكين الحقيقي، وربما كان هذا هو الشائع بين الناس، فدفع هذا التوهم بالنفي، وهو نفي حقيقي في سياق قصر القلب انتقل منه إلى إثبات صفة المسكنة للذي لا يجد غنى ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل عليه.

واختار (ﷺ) لفظ "**الْمِسْكِينُ** " للإشعار بمزيد من العناية والاهتمام؛ فهذه اللفظة تكون لمن لا يسأل الناس لذل الفقر الذي أصابه، وقيل: الذي لا شيء له يكفي عياله، وقال ابن الأثير: المسكين والمساكين والمسكنة والتمسكن؛ قال: وكلها يدور معناها على الخضوع والذلة وقلة المال والحال السيئة(٢)، فهذا التعبير يوحي بمنتهى الذُّل والقهر وشدة الحاجة، ثم أخذ الرسول (ﷺ) في تتابع الصفات التي تنفي عنه المسكنة الحقيقية، فقال: " **يَطُوفُ** " أي: يدور ويتردد(٣)، وعبر بالطواف؛ للدلالة على كثرة تردده وسؤاله للناس، وصاغه في قالب المضارع الذي يدل على تجدد هذا الفعل وتكراره منه مرات ومرات.

ثُمَّ تابع الرسول (ﷺ) هذا النفي، فقال:" **تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ**" فما وجه دلالة مدخول العدد في تحديد المسكين الحقيقي؟ إنَّ مجيء العدد هنا " **اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ**" دليل على شدة حاجته، ومع ذلك فأقل القليل يكفيه، وقادر على تحصيل قوته.

---

(١) ينظر: معاني النحو، د/ فاضل السامرائي، ٤/١٩٠، دار الفكر، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: اللسان: مادة ، (سكن).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري، ٤/ ١٣٠٤، دار الفكر، بيروت لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

ثُمَّ أراد الرسول (ﷺ) أن يحدد لنا صفات المسكين الحقيقي، والذي لا يقدر على تحصيل قوته فاستدرك هذا النفي بقوله:" **وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ** " وفي هذا الاستدراك بيان لأهمية ما يأتي بعده، لأنه هو المراد فـ "**لكن**" "معناها الاستدراك لخبر يوهم أنه موافق لما قبله في الحكم فإنه يُؤتى به لرفع ذلك التوهم وتقريره أو لتأكيد الأول وتحقيقه"(١).

وبعد هذا الاستدراك انتقل الرسول (ﷺ) إلى بيان درجات المسكين الحقيقي الذي يخفى أمره على الناس ولا يفطنون له لا حسًّا ولا عقلًا ، وترقى في درجات التعفف والاستغناء.

الدرجة الأولى في التعفف والاستغناء:

بدأ الرسول (ﷺ) درجات التعفف بقوله:" **لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ** " أي: لا يجد أي شيء يكفيه، أو لا يجد قدرًا زائدًا عن اليسار إذ لا يلزم من حصول اليسار الغنية به بحيث لا يحتاج لغيره(٢)، ويؤكد ذلك تنكير" **غِنًى**" مجيئها في قالب النفي الذي يفيد التعميم، أي: لا يجد أي شيء يسد به جوعه، وهذا مما يدل على حاجته إلى التردد على الناس وسؤالهم؛ ولكنه إذا أظهر استغناءه عن الناس وهو في هذا الحال كان مسكينًا حقيقيًا، وهذه أولى درجات التعفف وإظهار الاستغناء وعدم الحاجة إلى الناس.

الدرجة الثانية في التعفف والاستغناء:

ولم يكتفِ الرسول (ﷺ) بهذه الدرجة في بيان تعففه واستغنائه عن الناس، وإنما ترقى في تعففه من بيان حاله في نفسه إلى بيان خفاء أمره على الناس،

---

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق / عبدالحميد هنداوي، ٤٨٥/١، المكتبة التوفيقية . مصر.

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ٥/ ٣٦٠، المكتبة التجارية الكبرى، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

فقال: " **وَلَا يُفْطَنُ بِهِ**" أي: لا يُعلم بحاله مبالغة في ستر حاله وإخفائه عن الناس، حتى إن أهل الفطنة لا ينتبهون لذلك، ولذلك عبر بقوله: " **يُفْطَنُ** ".

الدرجة الثالثة في التعفف والاستغناء:

ثم صعَّد الرسول (ﷺ) تعففه واستغناءه عن الناس بعدم سؤاله لهم، وتردده عليهم، فقال:" **وَلا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**"، وهنا سؤال، لماذا بدأ الرسول (ﷺ) بنفي القيام دون نفي السؤال مباشرة؟

لأنه (ﷺ) إذا نفى القيام الذي هو سبب في السؤال فمن باب أولى نفي المسبب عنه وهو السؤال، فنفي القيام أبلغ من نفي السؤال، ولذلك جاء بالفاء التي ترتب نفي السؤال على نفي القيام.

كما أن هناك تناسبًا بين التعبير بالقيام وبين حال المسكين، فالمسكين هو الملازم للبيت؛ لأن المسكنة أخضعته وأهملت نشاطه، والقيام يحتاج إلى همة ونشاط وهذا لا يتناسب معه. ولشدة حرص الرسول (ﷺ) على هذا النوع من المساكين ضيَّق الأوصاف التي تجعله لا يُعرف فيُهمل بسبب تخفيه عن الناس، ولهذا فهو مظنة للإهمال وعدم الاعتناء به، ومن ثَمَّ قصر المسكين على صفة التعفف والاستغناء قصر قلب؛ وذلك لأنه قلب معتقدًا راسخًا في ذهن المخاطب من أن المسكين هو الذي يدور على الناس ويسألهم.

ومن هنا نلحظ أن شدة اهتمام الرسول (ﷺ) بـ"**الْمِسْكِينِ** " ولفت الأنظار إليه راعى رتب المسكنة، وذلك لبيان رتب العناية والاهتمام؛ حيث تتصاعد العناية ويقوى الاهتمام مع تصاعد المسكنة وعِظم شأنها، إذ المسكين الذي يغيب عن أعين الناس، ولا يظهر حاله لهم ويتعفف عن السؤال، ولا يلح عليهم هو الأولى بالعناية والرعاية من غيره.

وهناك خصيصة أخرى من خصائص هذا البيان المحمدي تُبرز العناية والاهتمام بهذا المسكين؛ حيث انتقل (ﷺ) من نفي صفة المسكنة عن الذي

يطوف على الناس، فقال: " **لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ**" وإثباها للمسكين الحقيقي، فقال:" **الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ** " وهذا من شأنه أن يحقق التشويق وتهيئة ذهن المتلقي إلى المقصود؛ لأن نفي المعهود عن الناس فيه تشويق واستدراج ولفت انتباه إلى معرفة المسكين الحقيقي، ثُمَّ إن مجيئه مؤخرًا . أيضًا . ليكون آخر ما يقرع ذهن السامع فيزداد تمسكًا به.

أرأيت هذا البيان البليغ من رسول (ﷺ) وكيف منح للمسكين الذي يتعفف عناية خاصة؟ فهذا الحديث فيه "حسن الإرشاد لموضع الصدقة، وأن يتحرى وضعها فيمن صفته التعفف دون الإلحاح، وفيه حسن المسكين الذي يستحي ولا يسأل الناس"(١).

بين البيان القرآني والبيان النبوي:

عناية القرآن الكريم بالمسكين تتمثل في الوصية به مع غيره، ولم يفرده بالذكر، أما البيان النبوي فقد أفرده بالذكر، وخصص له مواضع لإبراز شدة عنايته واهتمامه به، فقد ورد في القرآن الكريم عنايته به في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧٧)، وقوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا .... ﴾ (التوبة: من الآية ٦٠)،وقوله:﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان: الآية ٨)، وقوله: ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ (الماعون: الآية٢، ٣).

(١) عمدة القاري ، ٩/٦٠.

ثانيًا: الشـــرط

من الأساليب البلاغية التي استعملها الرسول (ﷺ) في الوصية باليتيم والمسكين، وهو أسلوب يتوفر فيه قوة الارتباط بين الشرط وجوابه وقوة السبك في الكلام، إذ الشرط في أصله:" أسلوب لغوي ينبني بالتحليل على جزئين، الأول بمنزلة السبب، والثاني بمنزلة المسبب، ويتحقق الثاني بتحقق الأول، وينعدم بانعدامه"[١] ، ويتوفر فيه كذلك استدراج شوق المخاطب وتهيئة ذهنه إلى سماع الجواب فيتمكن لديه" إذ يتطلع المخاطب عند سماع الشرط إلى معرفة جوابه، ويظل متشوقًا له حتى يقف عليه فيتمكن في ذهنه، ولذا تقوى رغبته ويشتد حرصه على الامتثال والإجابة"[٢].

ويلاحظ أن الوصية باليتيم والمسكين قد جاءت في قالب الجملة الشرطية في سياقين(٢):

السياق الأول: الترغيب في الاهتمام والعناية بـ "اليتيمة".

السياق الآخر: الترغيب في الصدقة على المسكين ولو بالقليل .

(١) دلالات الارتباط في أسلوب الشرط (دراسة في نصوص من صحيح البخاري) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ع ٦، ٢٠١٠م.

(٢) التشويق في الحديث النبوي الشريف طرقه وأغراضه، د/ بسيوني عبدالفتاح فيود، ص٨٨، ط: الأولى، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

السياق الأول: الترغيب في الاهتمام والعناية بـ "اليتيمة".

جاء الترغيب والاهتمام بشأن اليتيمة في قالب الجملة الشرطية، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "اليَتِيمَةُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا، فَإِنْ صَمَتَتْ فَهُوَ إِذْنُهَا، وَإِنْ أَبَتْ فَلَا جَوَازَ عَلَيْهَا"**(١).

لقد كرَّم الإسلام المرأة، وخاصة اليتيمة؛ حيث أفرد لها حكمًا خاصًا يتعلق بأمر زواجها، إما الموافقة وإما الرفض، وفي كلتا الحالتين يجب على وليها الأخذ برأيها، وأن يكون قرارها نابعًا من نفسها، وتكون هي صاحبة القرار، فلا تعدي على رأيها ولا إنكار عليها.

خصائص الرسول (ﷺ) في الإبانة عن مكانة اليتيمة:

تتجلَّى لنا مظاهر عناية الرسول (ﷺ) واهتمامه باليتيمة من خلال التقديم في قوله: " **اليَتِيمَةُ تُسْتَأْمَرُ** " وفي رواية أخرى، قال: " **تُسْتَأْمَرُ اليَتِيمَةُ**" لكن التقديم هنا فيه مزيد من العناية والاهتمام من رسول الله (ﷺ) بشأن اليتيمة وليس التقديم كالتأخير، فـ "بناء العبارات في الحقيقة بناء خواطر ومشاعر واختلاجات، قبل أن يكون هندسة ألفاظ، وتصميم قوالب"(٢).

ثم تقوى العناية، ويتأكد الاهتمام بتكرار الإسناد مرة بإسناد الفعل إلى الاسم الظاهر المقدَّم" **اليَتِيمَةُ**" ومرة بإسنادها إلى الضمير المستتر" هي".

ثُمَّ تتصاعد العناية ويقوى الاهتمام بوصفها بما كانت عليه قبل سن الزواج " **اليَتِيمَةُ** " فالزواج لا يكون إلا بعد سن البلوغ وذلك باعتبار ما كانت عليه مراعاة لحقها "وفائدة التسمية مراعاة حقها والشفقة عليها في تحري الكفاية

(١) أخرجه الترمذي في أبواب النكاح، باب: ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، حديث رقم: (١١٠٩).

(٢) دلالات التراكيب، ص ١٧٠.

والصلاح فإن اليتيم مظنة الرأفة والرحمة ثم هي قبل البلوغ لا معنى لإذنها ولا لإبائها"[١].

تأثر بيان النبوة بالبيان القرآني:

والرسول (ﷺ) يجري في بيانه على معهود استعمال القرآن الكريم، فقد عبر النظم القرآني بصفة اليُتم بعد بلوغ سن الرشد، تأمل قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ....﴾(النساء: من الآية٢).

فقد عبَّر عمن زال عنهم صفة اليُتم باليتامى، وهذا التعبير فيه حث للأولياء، وتحريض لهم على المسارعة إلى دفع أموال اليتامى إليهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم اسمهم المعهود[٢].

ويؤكد التعبير بهذا الوصف الفعل المضارع " **تُسْتَأْمَرُ** " الذي يدل على تجدد واستمرار الأمر منها في أي وقت، وعبَّر (ﷺ) بالأمر دون الإذن؛ للدلالة على أن ما تقوله أمر واجب على وليها العمل به ولا يتعدى على رأيها، وقيدَّ هذا الأمر بقوله: " **فِي نَفْسِهَا** " ليشعر بمزيد اختصاصها في نفسها، فقرارها من نفسها لا يُملى عليها، وإنما يكون بناءً على رغبتها النفسية.

ثُمَّ يقوِّي الاهتمام بالتصريح بـ" **اليَتِيمَةُ**"، وبإسناد الفعل المبني لما لم يُسَم فاعله" **تُسْتَأْمَرُ**" كذلك.

الترقي من الإجمال إلى التفصيل:

ثُمَّ لم يقف الرسول (ﷺ) في الوصية بـ" **اليَتِيمَةُ**" عند هذا الحد، وإنما للإمعان في بيان شدة الاهتمام بشأنها ترقى من الإجمال إلى التفصيل زيادة في

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، ٤/ ٢٠٧، دار الكتب العلمية . بيروت.

(٢) ينظر: تفسير أبى السعود (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ١٤٠/٢، دار إحياء التراث العربى . بيروت، ط: الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

البيان والتوضيح، وقد صاغ هذا التفصيل في قالب الشرط؛ وذلك لبيان مدى الترابط والتماسك بين الشرط وجزائه فلا غنى لأحدهما عن الآخر، فقال: " **فَإِنْ صَمَتَتْ فَهُوَ إِذْنُهَا، وَإِنْ أَبَتْ فَلَا جَوَازَ عَلَيْهَا**" والملاحظ أن الرسول (ﷺ) قد فصَّل في الحالتين، وبينَّ حكم كل حالة على حدة لزيادة البيان والتوضيح؛ لأن هذا الحكم من الأحكام التي ليس فيها مجال للاجتهاد، كما أنه (ﷺ) يقطع على النفس رغباتها في هذا الأمر، يؤكد ذلك مجيء فعل الشرط جملة فعلية " **فَإِنْ صَمَتَتْ، وَإِنْ أَبَتْ**" وجواب الشرط جملة اسمية " **فَهُوَ إِذْنُهَا، فَلَا جَوَازَ عَلَيْهَا**" وقَدَّم (ﷺ) جانب المنفعة " **فَإِنْ صَمَتَتْ**" على جانب الرفض " **وَإِنْ أَبَتْ**" لأن رأيها ينبغي أن يكون موضع عناية واهتمام.

أرأيت كيف اهتم رسول (ﷺ) بـ" **اليَتِيمَةُ**"" حيث جعل لها حكمًا خاصًّا بها في أمر زواجها؟

أرأيت كيف طيَّب خاطرها عندما أفردها بهذا الحكم الخاص، ولم يدرجها مع البكر على وجه العموم في قوله (ﷺ): "**الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا**" (١).

أرأيت كيف صور شفقته ورحمته بهذه "**اليَتِيمَةُ**" بهذه الوصية الخاصة بها حتى لا يجتمع عليها قهران: قهر اليتيم، وقهر الإكراه؟

إن اهتمام الرسول (ﷺ) بالجانب المعنوي لليتيم ذكرًا كان أم أنثى. يتجاوب مع ما دعا إليه القرآن الكريم في مراعاة هذا الجانب – أيضًا– ويخرج من مشكاته، تأمل قوله تعالى﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب: استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م،
حديث رقم: (١٤٢١).

(الفجر:الآية١٧)﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ (الضحى:الآية٩) ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴾ ففيه دلالة على أن القرآن بألفاظه ومعانيه كان يملأ قلبه (ﷺ).

السياق الآخر: الترغيب في الصدقة على المسكين ولو بالقليل

ومن مظاهر اهتمام الرسول (ﷺ) **بالمسكين والعناية بشأنه حثِّه (ﷺ) على التصدق عليه ولو بأقل القليل:**

عن عبدالرحمن بن بجيد عن جدته أُم بُجيد، وكانت ممن بايع رسول الله (ﷺ)، أنها قالت: يا رسولَ الله، إنَّ المسْكينَ ليقومُ على بابي فما أَجِدُ لَهُ شَيْئًا أعطيهِ إيَّاهُ، فقالَ لَها رسولُ اللَّهِ (ﷺ): "إن لم تجِدي شَيْئًا تعطينَهُ إيَّاهُ إلَّا ظلفًا محرقًا فادْفَعِيهِ إليْهِ"(١).

والمتأمل في هذا الحديث يجد أن العناية والاهتمام بالمسكين قد تجلَّت من طريقين:

الطريق الأول: حكاية أُم بُجيد . رضى الله عنها . لرسول الله (ﷺ)؛ حيث صاغت كلامها صياغة تصور لنا مدى اهتمامها وعنايتها بالمسكين، وذلك من خلال ندائها لرسول الله (ﷺ):" **يا رسولَ الله**" وهو نداء وراءه زيادة تلبية واهتمام من هذه المرأة بما تريد أن تقوله لرسول الله (ﷺ) ثُم مجيئها بـ "**إنَّ**" المؤكِّدة في صدر كلامها، ومن خلال دخول لام التأكيد في خبرها " **ليقومُ**" وهذا التأكيد يدل على شدة حاجته، وإلحاحه في سؤاله، ثم ترقت في بيان شدة حاجته، فقالت: " **ليقومُ على بابي**" فعبرت بالقيام دون الوقوف، والقيام يكون بعد قعود فما أقامه إلا شدة الحاجة، كما أن القيام فيه نشاط وهمة فلا يقوم ويتجدد قيامه ويلازم الباب إلا لشدة حاجته؛ فالقيام يصور لنا مدى احتشاده وهمته وقوته ونشاطه، ولذلك عبر بالفعل المضارع " **يقومُ**" دون اسم الفاعل "**قائم على بابي**" فالفعل

(١) أخرجه الترمذى في أبواب الزكاة، باب: ما جاء في حق السائل، حديث رقم (٦٦٥).

يدل على تجدد طلبه وملازمته له الذي يصوِّر لنا شدة حاجته، أما اسم الفاعل فيدل على ثبوته على حالة واحدة، وهذا يتنافى مع الغرض المقصود، يقول عبدالقاهر معلقًا على سر التعبير باسم الفاعل في قوله تعالى ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ (الكهف: من الآية ١٨) دون الفعل "**يبسط ذراعيه**": "فإن أحدًا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: "**كلبهم يبسط ذراعيه**" لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأنَّ الفعل يقتضي مزاولة وتجدُّد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئًا فشيئًا"(١).

وقولها: "**على بَابِي**" دلالة على أنه يخص بابها بالقيام دون غيره من الأبواب ، وهذا قد أثَّر فيها وهي ليس عندها ما تتصدق به عليه، فسألت الرسول (ﷺ)، وهذا السؤال يصوِّر لنا مدى تعاطفها معه، كما أن تقديم الجار والمجرور في قولها: " **فما أَجِدُ لَهُ شَيْئًا**" دون: " **فما أجد شَيْئًا له**" هذا التقديم يشعرنا بمزيد إحساس منها بشدة حاجته واهتمامها به وإصرارها على إعطائه، يصوِّر لنا ذلك مجيء" **شَيْئًا**" نكرة في سياق النفي لتفيد العموم، أي: لا تجد شيئًا تعطيه إياه ولو قليلًا، ولذلك عبرَّت بكلمة " **أَجِد**" دلالة على أنها بحثت وفتشَت لعلمها بشدة حاجته، فلم تجد شيئًا تعطيه إياه، فـ "الوجدان في أصل اللغة لما ضاع، أو لما يجري مجرى الضائع في أن لا يعرف موضعه"(٢).

الطريق الآخر: يتمثل في رد الرسول (ﷺ) على أُم بُجيد– رضي الله

(١) كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، أبو فهر/ محمود محمد شاكر، ص ١٧٥، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه / محمد إبراهيم سليم، ص ٩٠، دار العلم والثقافة، القاهرة . مصر..

عنها– ردًّا يصوِّر منتهى حرصه على إعطاء المسكين، وجبر خاطره، وتعويض حرمانه وعدم رده خائبًا، وقد بانت هذه العناية من خلال مجيئه بأسلوب الشرط " **إِنْ لَمْ تَجِدي** " الذي يحقق الترابط والتلاحم بين فعل الشرط وجوابه، ويجعل المخاطب يتشوق إلى الجواب في لهفة وحرص فيستقر في ذهنه، ويتمكن في نفسه.

كما تبرز هذه العناية وذلك الاهتمام من خلال إعادة كلام أم بُجيد" **إِنْ لَمْ تَجِدي شَيْئًا تعطينَهُ إيَّاهُ**" ومن خلال طريق القصر " **إلاَّ**" الذي يصعِّد نبرة التوكيد والتوثيق. ثُمَّ التعبير بكلمة:" **ظِلْفًا**"، والظلف: هو ظُفُر كل ما اجترَّ، وهو ظِلفُ البقرة والشاة والظبي وما أشبهها(١). ولم يقتصر على كونه ظِلْفًا وإنما تنزل في مكانته بكونه "**مُحَرقًا**" وهذا التقييد يفهم منه عدم النفع به، والمراد منه " أعطوه ولو قليلًا ولا تردوه خائبًا فذكر الظلف مع كونه لا يغني من جوع للمبالغة في القلة ومزيد من التحذير من حرمانه الموجب للخيبة وعدم النجاح المؤدي إلى فقد الفلاح"(٢)، وهذا يدفع المسئول على أن يبحث عن أي شيء في بيته ويعطيه إياه ولا يرده خائبًا، فذكر الدرجة الأدنى للمتصدق به توحي بذلك، وعدم التعجل والتسرع في رد المسكين.

ثم اختتم الرسول (ﷺ) كلامه بما يتناسب مع شدة حاجة المسكين، فقال:" **فادْفَعِيهِ إليْهِ**" فجاء جواب الشرط جملة طلبية مقترنة بالفاء التي تؤذن بالمسارعة في تنفيذ الجواب، وهذا يتناسب معه اختيار الفعل " **ادْفَعِيهِ**" دون غيره وهو يوحي بالسرعة والقوة والشدة والتعجل في إعطاء المسكين فهو من دفع الشيء: نحاه وأزاله بقوة، ودافع الرجل أمر كذا: أولع به، وانهمك فيه، واندفع الفرس: أسرع في

(١) ينظر: اللسان، مادة: (خلف).

(٢) فيض القدير، ٢٤٣/١.

سيره، الدفعة من المطر: الدفقة[١].

فكل هذه الدلالات تدور حول معنى القوة والسرعة، وهذا إن دل فإنما يدل على شدة حاجة المسكين وعلى قدر حاجته كان إبلاغ االرسول (ﷺ) في الوصية به، والتنزل مع المتصدق في الصدقة حتى لا ينصرف المسكين من غير أن يُعطى، ولو كان المعطى شيئًا لا يلتفت إليه، وإنما بذل أقصى الطاقة في جبر خاطره، والوقوف بجانبه.

وبذلك يكون الرسول (ﷺ) قد حقق لفكرته الإقناع والتأثير فـ "غاية ما يسعى الأديب إلى تحقيقه التأثير، والإقناع بالفكرة، أو بصدق الإحساس حتى تكون مشاركة الناس له بعد اقتناعهم، وتأثرهم مظهرًا من مظاهر تقديره، وعلامة من علامات الإعجاب به"[٢].

ثالثًا: الترقــي

و"هو أن يذكر معنى ثم يردف بما هو أبلغ منه كقولك: فلان عالم نحرير، وجواد فياض، وشجاع باسل"[٣].

وهو من الأساليب البلاغية التي وظفَّها الرسول (ﷺ) في الوصية بالمسكين، وفي إبراز منتهى العناية به والاهتمام بشأنه، وقد جاء هذا الأسلوب في سياق الترغيب والحث على التصدق على المسكين القريب، فإنه أولى بالتصدق من المسكين البعيد.

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط (نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة)، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: الثانية (كتبت مقدمتها، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، مادة : (دفع).

(٢) علم البيان (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) الدكتور/ بدوي طبانة، ص ٢١٩، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:٢، ١٣٨١هـ.

(٣) التبيان في علوم المعاني والبديع والبيان للطيبي، ص٢٣٨، دار البلاغة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-١٩٩١م.

من ذلك عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ "(١).

هذا الحديث فيه: حث على الصدقة على الأقارب، وتقديمهم على الأباعد.

مما يلاحظ في هذا الحديث أن الرسول (ﷺ) قد سلك مسلك الترقي في الوصية بالمسكين؛ حيث بدأ متدرجًا صاعدًا في الجزاء.

الدرجة الأولي: أجر الصدقة على المسكين غير القريب:

بدأ الرسول (ﷺ) درجات الوصية بالمسكين القريب ، ببيان أجر الصدقة على المسكين البعيد، فقال:" **الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ**" فالصدقة على المسكين عمومًا جزاؤها صدقة واحدة، وقد استعمل الرسول (ﷺ) من الأساليب البلاغية ما يؤكد هذه الدرجة، فعبرَّ بالاسم " **الصَّدَقَةُ**" وبدأ بها (ﷺ) بيانه، وجيء بها على صيغة اسم المرة "**صدقة**" كل ذلك يعطي دلالة على أهمية هذه الصدقة، وعِظم شأنها.

ثُم إن إيثار حرف الجر" **على**" دون " **اللام**" فيه دلالة على بيان عجز هذا المسكين، وشدة حاجته إلى هذه الصدقة، وكذلك فيه زيادة حث على التصدق والوقوف مع المسكين، ومحاولة رفع هذه المسكنة عنه، وإنقاذه من ألمها.

ثُم إن مجيء " **الْمِسْكِينِ**" معرفًا بالألف واللام، فيه إشارة إلى أنه معروف لديكم بالذلة وشدة الحاجة، فينبغي عليكم أن تقفوا بجواره ولا تتخلوا عنه.

ومجيء الجزاء "**صَدَقَةٌ**" نكرة، يعطي دلالة تعظيم شأن هذه الصدقة، ومن ثمَّ يدفع إلى الترغيب فيها والاهتمام بشأنها، ومن ثمَّ الاهتمام بشأن المسكين حتى

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزكاة، باب: فضل الصدقة، المحقق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، حديث رقم: (١٨٤٤).

يلقى المتصدق هذا الجزاء العظيم.

الدرجة الثانية: زيادة الأجر في الوصية بالمسكين القريب:

ثم ترقى الرسول (ﷺ) في الأجر وذلك بالوصية بالمسكين القريب، فلم يجعل الصدقة على المسكين في الأجر على درجة واحدة، وإنما جعل التصدق على المسكين القريب أعلى في الدرجة من التصدق على المسكين الغريب، فقال : " **وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**" أي: "أن الصدقة على الأقارب أفضل لأنه خيران؛ ولا شك أنهما أفضل من واحد"(١).

وقد صاغ الرسول (ﷺ) هذه الدرجة في قالب التوشيع زيادة في البيان والتوضيح، ولتشويق المخاطب إلى الجزاء حتى يستقر في ذهنه، فيكون أشد حرصًا على التصدق على الأقارب ؛ ولذلك صرح الرسول (ﷺ) بلفظ المسكنة مع الدرجة الأولى دون الثانية، فلم يقل: المسكين القريب، وكأن القرابة بمفردها كافية في وجوب الحث والترغيب في التصدق.

ثُم إنَّ بناء الحديث على الوصية بالمسكين دون اقترانه بغيره يعطي مزيدًا من العناية به، والالتفات إليه، كما أن ختم الحديث بالمسكين القريب؛ ليكون آخر ما يقرع ذهن السامع، فتقوى العناية ويتصاعد الترغيب.

إنَّ أسلوب الترقي الذي اعتمد عليه رسول الله (ﷺ) في الوصية بالمسكين القريب هنا له مغزاه الدقيق، وذلك من حيث إن المسكين القريب قد لا يفطن له وقد يتعفف، ولا يقف على حاله إلا أقاربه، ومن ثَمَّ كانت الصدقة عليه أعظم أجرًا من المسكين البعيد.

كما أن الترقي في الأجر في صدقة القريب له أثره في تقوية وشائج الصلة بين الأقارب، واسترضاءً لقلوب المساكين منهم، واستعطافًا لهم، وسترًا لمسكنتهم،

(١) مرقاة المفاتيح، ٤/١٣٥٤.

وتقوية روح المودة والألفة بينهم، وهذا من القيم النبيلة التي حثنا عليها ديننا الحنيف.

أرأيت كيف أوصى النبي (ﷺ) بالمسكين على وجه العموم، وبالمسكين القريب على وجه الخصوص، وأعطاه مزيدًا من العناية والاهتمام حتى تقوى الصلة، وتحقق الألفة؟

المبحث الثاني:
الأسلـوب الإنشائـي.

ويشتمل على ثلاثة أمور:

أولًا: الأمر.

ثانيًا: النهي.

ثالثًا: النداء.

أولًا: الأمـــــر.

عرفه البلاغيون بأنه: طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء، وله صيغ أربع:

١-فعل الأمر. ٢-اسم فعل الأمر.

٣-المصدر النائب عن فعل الأمر. ٤-المضارع المقترن بلام الأمر(١).

وهو من الأساليب البلاغية التي وظَّفها الرسول (ﷺ) في الوصية بالضعفاء [اليتيم . المسكين . الأرملة]، وإبراز العناية بهم، وقد جاءت الوصية بهم في قالب الأمر في سياقين:

السياق الأول: الترهيب من أكل مال اليتيم.

السياق الآخر: الترغيب في الإحسان إلى المساكين وتقريبهم.

(١) ينظر: كتاب المطول للتفتازاني، ص ٢٣٩، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٣٣٠هـ، مواهب الفتاح لابن يعقوب (ضمن شروح التلخيص)، ٣٣٤/٢، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

السياق الأول: الترهيب من أكل مال اليتيم.

ومما جاء على أسلوب الأمر قول الرسول (ﷺ) في الترهيب من أكل مال اليتيم: "**اجتَنِبوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ. قيل: يا رَسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقَتْلُ النَّفسِ التي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكْلُ مالِ اليَتيمِ، والتوَلِّي يومَ الزَّحفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤمِناتِ**"(١).

ومما يلاحظ هنا أن الرسول الله (ﷺ) لم يكن من منهجه في دعوته أن" ينتظر كل مرة أسئلة أصحابه ليجيب عليها، بل كثيرًا ما كان يستغل الظروف، وينتهز الفرص ليلقي النصيحة على مسامع الصحابة ويغرس في نفوسهم الخوف من الله واستعظام المعاصي، مستخدمًا في ذلك أسلوب تغليظ الأمر، والاهتمام بمفاسده، ... وفى هذا الحديث يقول: "**اجتنبوا واحذروا القرب من السبع المهلكات. ويرتاع الصحابة، وتقشعر أبدانهم من هذا الوصف المخيف، فيقول قائلهم :وما هن يا رسول الله؟ فيقول: أولها :الشرك بالله الخالق القادر واهب الحياة وسابغ النعم. وثانيها :السحر والتغرير وخداع المسلمين وتزوير خلق الله. وثالثها: قتل النفس المعصومة التي حرم الله قتلها. ورابعها :أكل مال اليتيم واستغلال ضعفه وعجزه عن الدفاع عن نفسه. وخامسها :أكل الربا واستغلال حاجة المحتاج والزيادة عليه في القرض. وسادسها :الفرار جبنا أمام أعداء الإسلام حين القتال، وبث روح الخور والوهن في نفوس المسلمين**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ ، حديث رقم: (٢٧٦٦).

المقاتلين. وسابعها :الاستهتار بأعراض المسلمين وتناولهم باللسان وطعنهم وقذفهم بالزنا من غير دليل"[١].

ومن هذه الجرائم المهلكة التي حذَّر منها الرسول (ﷺ) أكل مال اليتيم؛ ولأهمية هذه الجرائم، وتغليظ أمرها لم يدخل إليها الرسول (ﷺ) دخولًا مباشرًا وإنما مهدَّ لها بمقدمة تشويقية تلفت أذهان الصحابة، وتوقظ عقولهم لما سيلقى عليهم حتى يستقر في نفوسهم.

الدرجة الأولى في التشويق للتحذير من أكل مال اليتيم:

بدأ الرسول (ﷺ) أولى درجات التشويق للتحذير من هذه الموبقات عمومًا ومنها التحذير من أكل مال اليتيم بأسلوب الأمر المحوري في هذا الحديث " **اجتَنِبوا**" والأمر بالاجتناب، معناه: اجعلوا بينكم وبين مال اليتيم جانبًا فهو من جنَّب الشيء وتجنبه وجانبه وتجانبه واجتنبه: بَعُد عنه[٢]،" أي تعمدوا أن تكونوا عنه في جانب آخر غير جانبه"[٣] وصاغ هذا الأمر في قالب الافتعال التي تتطلب شدة البعد فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فهذه الصيغة فيها ثقل، وكأن هذه الأمور ثقيلة على النفوس تستلزم تركها.

فوراء التعبير بالأمر" **اجتَنِبوا**" زيادة تحذير من ارتكاب هذه الموبقات، وزيادة حث وتحريض في الابتعاد عنها، كما أن وراءه زيادة حث على سرعة الامتثال والاستجابة لما يقوله الرسول (ﷺ).

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، تأليف الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، ٢٩٠/١، دار الشروق، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: اللسان، مادة: (جنب).

(٣) تفسير أبي السعود، ٥٣٦/٢.

الدرجة الثانية في التشويق للتحذير من أكل مال اليتيم:

ثم ترقى الرسول (ﷺ) في تشويق صحابته للتحذير من هذه الموبقات، ومنها أكل مال اليتيم بتقديم العدد، فقال: " **السَّبْعَ**" وهذا التقديم ينبئ عن خطورة هذه الخصال السبع، وشدة التحذير منها، والابتعاد عنها، ولذلك حذف الموصوف، وأقام الصفة مقامه، والمراد: الخصال السبع.

الدرجة الثالثة في التشويق للتحذير من أكل مال اليتيم:

ثم صعَّد الرسول (ﷺ) هذا التشويق بوصف هذه الخصال بـ " **المُوبِقاتِ**" أي: المهلكات(١)، سُميت بذلك "لأنها تُهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب"(٢)، وهذا الوصف من باب المجاز العقلي؛ لأن الذي يوبق هو الله عز وجل وليست هذه الأمور، وإنما أسند لها الإيباق من باب إسناد الفعل إلى سببه مبالغة في إهلاكها لمرتكبها والنكتة في ذلك " أن المجار لم يكن مجازًا لأنه إثبات الحكم لغير مستحقه، بل لأنه أثبت لما لا يستحقه تشبيهًا وردًا إلى ما يستحق وأنه ينظر من هذا إلى ذاك، وإثبات ما أثبت للفرع الذي ليس بمستحق يتضمن الإثبات للأصل الذي هو المستحق، فلا يتصور الجمع بين شيئين في وصف أو حكم من طريق التشبيه والتأويل حتى يبدأ بالأصل في إثبات ذلك الوصف والحكم له"(٣).

---

(١) اللسان، مادة: (وبق).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له/ محيي الدين ديب ميستو، وآخرون ص ١/ ٢٨٣، (دار ابن كثير، دمشق . بيروت) (دار العلم الطيب، دمشق . بيروت)، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٣) كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه، أبو فهر/ محمود محمد شاكر، ص ٣٨٦، ٣٨٧، مطبعة المدني، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

أثر تصعيد التشويق في استدراج المتلقي للسؤال:

ثم لما بلغ التشويق ذروته لبلوغ التحذير من هذه الأمور منتهاه، سأل الصحابةُ الرسول (ﷺ) عن هذه الأمور " **فقالوا يا رسول الله: وما هُنَّ؟**" فلقد بلغ الرسول (ﷺ) "بالإثارة والتشويق إلى الحكم درجة جعلت المخاطبين . أحيانًا . لم يستطيعوا ضبط مشاعرهم فانطلقت ألسنتهم "بلى" "أخبر" أو "بلى يا رسول الله""[1]، فكان هذا التشويق بمثابة استدراج للصحابة للسؤال عن هذه الخصال، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على أهمية هذه الأمور وشدة خطورتها التي تستوجب شدة التحذير منها.

الانتقال من الإجمال إلى التفصيل:

لأهمية هذه الخصال وشدة خطورتها لم يكتفِ الرسول (ﷺ) بذكرها مجملة، وإنما ذكرها مرتين مرة مجملة ومرة مفصلة؛ وذلك لأن التفصيل بعد الإجمال زيادة في البيان والتوضيح فيكون أوقع في نفس السامع فيتمكن فيها فضل تمكن ، وللإشعار بأن هذه المهلكات المفصلة هي نفسها التي أُجملت، فقال: "**الإشْرَاكُ باللهِ، والسِّحرُ، وقَتْلُ النَّفسِ التي حرَّم اللهُ إلَّا بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكْلُ مالِ اليَتيمِ، والتوَلِّي يومَ الزَّحفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤمِناتِ**".

تصعيد التحذير من أكل مال اليتيم:

وإذا كان الرسول (ﷺ) صعد التحذير من هذه الموبقات، ومنها: أكل مال اليتيم، فإنه صعد التحذير من أكل مال اليتيم، عندما جعل أكل ماله ضمن هذه الموبقات، ليس هذا فحسب، وإنما عندما بدأ بأعظمها جُرمًا، وهو الشرك بالله –

(١) السمات البلاغية في بيان النبوة، الدكتور/ صبَّاح عبيد دراز، ص ٢١٢، ٢١٣، مكتبة وهبة، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

تعالى–، ثُمَّ عندما قرن " **أكل مال اليتيم**" بـ" **أكل الربا**" فإن ذلك يُعلِّي من التحذير والتعدي على ماله.

والمراد: بـ" **أكل مال اليتيم**" أي: "إتلاف ماله والتصرف فيه أو غيره"(١)، وإضافة المال إلى اليتيم، يشعر بأنه يجب المحافظة عليه، وعدم التفريط فيه؛ لأنه لا يجد من يعوله أو يقوم على أموره.

ثُمَّ يتصاعد التحذير بالتعبير بـ" **الأكل**"، وإضافته إلى المال وإضافة المال إلى الضعيف المسكين.

واختار لفظ "**الأكل**" دون غيره؛ ليدل على الشراهة وعدم التمييز بين المأكول، كما أنه يطلق عندما يكون المأكولُ حرامًا، وفي الوقت نفسه يشعر بمنتهى حقارة الآكل ودناءته فـ "العرب كانت تُذم بالإكثار من الأكل، وتعد البطنة من البهيمة، وتعيب على من اتخذها ديدنه، ولا كذلك سائر الملاذ ... فلما كان الأكل عندهم أقبح الملاذ خص النهي به، حتى إذا نفرت النفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرها ذلك إلى النفور من صرف مال اليتيم في سائر الملاذ أو غيرها، أكلا أو غيره"(٢).

وهذا التعبير الذي يُشعر بمنتهى الدناءة والتحقير أبلغ في التحذير من أكل مال اليتيم، من هنا نلحظ أن الرسول (ﷺ) استعمل من الألفاظ ما يعين على الاجتناب" فلكل منتج نص غاية يسعى إلى تحقيقها، ونية يبغي تجسيدها، ونظم قصد اليه قصدًا؛ ليحقق الغاية المبتغاة من هذا النظم دون غيره، فكل فعل

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ٨/ ٦٠٣، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط: الرابعة، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

(٢) حاشية ابن المنير على الكشاف، ٤٦٥/١، دار المعرفة . بيروت.(بتصرف).

كلامي يُفترض فيه وجود نية للتوصيل والإبلاغ، فالمتكلم لا يتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد يريد إيصاله"(١).

وهكذا ترى أن الأسلوب البلاغي المحوري الذي أقام عليه بناء الحديث وتصدر مطلعه هو فعل الأمر" **اجتَنِبوا**" فهو رأس التحذير والترهيب من التعدي على مال اليتيم، ثُمَّ بما تآزر معه من أساليب بلاغية أخرى.

بين البيان النبوي والبيان القرآني في الحفاظ على مال اليتيم:

إن البيان النبوي بهذا التحذير البالغ من أكل مال اليتيم يلتقي مع البيان القرآني في ذلك، وإن كان القرآن الكريم قد صرَّح بالتهديد والوعيد، قال الله – عز وجل–: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ (النساء: الآية ١٠) فهذه الآية تحمل وعيدًا وتهديدًا لمن يأكل أموالهم "لأنهم لكمال ضعفهم، وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته، وكثرة عفوه، وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى"(٢).

ثم حدد . أيضًا . الوجه الذى به يقرب مال اليتيم. قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾(الإسراء: من الآية ٣٤)

فلم ينه عن قرب مال اليتيم في جميع الحالات، وإنما استثنى منها حالة واحدة، وهي إذا كان هذا القرب بالحسنى، أي: لا تقربوا مال اليتيم إلا على

(١) الرسائل النبوية (دراسة لسانية نصية) الدكتور/ أشرف السيد العربي، ص٢٧٩، دار النابغة، ط: الأولى، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

(٢) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، ٥٠٦/٩، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط: الثالثة ، ١٤٢٠هـ.

الوجه الأفضل والأكمل فـ "أفعل التفضيل" لـه دلالتـه فـي هذا المقام، يقول أبـو حيان: "**بالتي هي أحسن**" أي بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم، ولم يأتِ إلا بالتي هي حسنة، بل جاء بأفعل التفضيل مراعاة لمال اليتيم، وأنه لا يكفي فيه الحالة الحسنة، بل الخصلة الحسنى"(١).

أرأيت كيف منح البيان القرآني والبيان النبوي " مال اليتيم" مزيد عناية ورعاية واهتمام؟

أرأيت كيف التقى بيان النبوة مع البيان القرآني في التهديد البالغ والتحذير الشديد من التعدِّي على مال اليتيم؟

أرأيت كيف صوَّر البيان القرآني والبيان النبوي جانب الرحمة والرأفة بالضعفاء اليتامى؟.

السياق الآخر: الترغيب في الإحسان إلى المساكين وتقريبهم.

ومما جاء في الوصية بالضعفاء، وكان أسلوب الأمر هو عمدة بناء الحديث، وقد تآزر معه أسلوب النداء والاستفهام والحوار، ماجاء في الوصية بـ" **المسكين**" **فعَنْ أَنَسٍ(ﷺ) ، أَنَّ رَسُولَ (ﷺ) قَالَ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي المِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ أَحِبِّي المَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**"(٢)

(١) البحر المحيط، تحقيق / صدقي محمد جميل، ٦٨٨/٤، دار الفكر . بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث رقم: (٢٣٥٢).

هذا الحديث فيه "تعليم للأمة ليعرفوا فضل الفقراء، فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم بركتُهُم، وفيه تسلية للمساكين، وتنبيه على علو درجاتهم"[1].

خصائص الإبانة عن مكانة المسكين في هذا الحديث:

ومما يلاحظ في بناء هذا الحديث أن الرسول (ﷺ) قد بناه بناءً خاصًّا يدل على مدى اهتمامه وعنايته بالمساكين، وقد برز هذا الاهتمام من خلال أسلوب نداء الألوهية الذي وقع في صدر الحديث" **اللَّهُمَّ**" وهو نداء له خصوصية التعظيم والمهابة في النفوس.

ثُمَّ تعقيب النداء بأسلوب الأمر الذي تتكرر أكثر من مرة في الحديث:" **أَحْيِنِي**" "**أَمِتْنِي**" " **احْشُرْنِي**" " **أَحِبِّي**" " **قَرِّبِيهِمْ**" فلم يقتصر الرسول (ﷺ) في طلبه على حالة واحدة، وإنما جمع بين الحالتين [الدنيا والآخرة]، فقال: (**أَحْيِنِي ، أَمِتْنِي ، احْشُرْنِي**) وهذا التعدد يصوِّر لنا مدى انفعال الرسول (ﷺ) وإلحاحه في دعائه وشدة رغبته في تحقيق ما يدعو به، إبرازًا لعلو درجة المساكين، يؤكد لنا هذا الحرص إضافة هذه الأفعال إلى ياء المتكلم مما يشعر بمزيد من التعظيم والتكريم، وتعظيمًا لمكانتهم لم يقل الرسول (ﷺ) : "واحشرهم معي" لئلا يُظن أنهم نالوا هذه المكانة من صحبتهم لرسول الله (ﷺ)، وهذا لا يتلاءم مع ما يدعو به (ﷺ)، كما أن الفعل تعدَّى بـ " **في**" دون "**مع**" فلم يقل: " **واحشرني مع المساكين**" ليفيد بأنه (ﷺ) في موضع الصدارة فهم يحيطون به، وليس مصاحبًا لهم ملحقًا بهم، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾ (النمل: من الآية ١٩).

(١) مرقاة المفاتيح، ٣٢٨٢/٨.

ولم يقل: "مع عبادك الصالحين" لأن "منزلة سليمان . عليه السلام . ومقام الرجاء يجعلانه في الصدر من عباده الصالحين، وليس مصاحبًا لهم ملحقا بهم"(١).

كما يقوىِّ لنا دلالة الاهتمام والعناية بهم العموم الذي أفاده تنكير لفظ "**مِسْكِيْنًا**"؛ ليشمل عموم المساكين، فهذا الفضل لا يكون لمسكينًا دون آخر، وإنما يشمل عموم المساكين في جميع أحوالهم؛ لذلك لم يطلب الرسول (ﷺ) أن يكون على حالة واحدة من أحوال المساكين، فلم يقل: :" **أَحْيِنِي**" أو "**أَمِتْنِي**" أو " **احْشُرْنِي**" ، وإنما طلب جميع الحالات وألحَّ في طلبه، وهذا لا يكون إلا إذا كان للمسكين عند الله مكانة، وإذا كان للمسكين هذه المكانة عند الله وعند رسوله (ﷺ) فينبغي أن تكون مكانته عند المؤمنين كذلك.

والمتأمل يجد أن لفظ " **الْمِسْكِين**" في حالتي الإحياء والإماتة جاء مفردًا نكرة؛ للدلالة على أن حال المساكين يختلف من مسكين لآخر، والتعبير بالنكرة ليناسب حالهم في الدنيا وكأنهم مجهولون بالنسبة لمن حولهم، أما في مقام الحشر فعَّبر بالجمع المعرَّف " **الْمَسَاكِين**"؛ لأن الجزاء موحَّد للجميع وليس لمسكين بعينه، كما أن التعريف، يدل على تعيينهم ومعرفتهم، وكأنهم لِعظم ما حلَّ بهم، أصبحوا معروفين للجميع.

وقول الرسول (ﷺ) :" **وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ**" تتميم(٢)، قُصد به أن يكون معهم في كل زمان ومكان، ويؤكد ذلك التصريح بقوله:" **يَوْمَ القِيَامَةِ**" ،

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، الأستاذ الدكتور/ محمد الأمين الخضري، ص ١٧٠، مكتبة وهبة، ط: الثانية، ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م.

(٢) التتميم: هو أن يؤتي في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة. ينظر: الإيضاح للقزويني، تحقيق/ محمد عبدالمنعم خفاجي، ٢١٣/٣، دار الجيل . بيروت، ط: الثالثة.

والملاحظ في هذا الحديث أن الرسول (ﷺ) لم يوصِ بهم فحسب، وإنما دعا بأن يحيا ويموت ويبعث وحاله حالهم، مؤكدًّا ذلك بالنصِّ في كل حالة على المسكنة، وهذا يبين لنا مدى إلحاحه وحرصه على أن ينال هذه المكانة في دنياه وآخرته لـ" إظهار تواضعه وافتقاره إلى ربه إرشادًا لأمته إلى استشعار التواضع والاحتراز عن الكبر والنخوة، وأراد بذلك التنبيه على علو درجات المساكين وقربهم من الله"(١)، وفيه أيضًا "تعليم الأمة ليعرفوا فضل الفقراء، فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم بركتهم، وفيه تسلية للمساكين، وتنبيه على علو درجاتهم"(٢).

أثر الدعاء في استدراج السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ للسؤال:

هذا الإلحاح من الرسول (ﷺ) في الدعاء أثار انفعال السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فاستدرجها للسؤال عن سبب الإلحاح في هذا الطلب، فقالت:" **لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**" وكأن هذا الدعاء من الرسول (ﷺ) بمثابة استدراج للسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ لمعرفة مكانة المساكين، فلم يقل من أول الأمر:" **يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي المِسْكِينَ**" وإنما آثر أسلوب الاستدراج في بيان هذه المكانة؛ ليكون أوقع في النفس، وأعظم لمكانة المسكين.

فأجابها (ﷺ) بما يدل دلالة واضحة على أنهم محل النظر والعناية والاهتمام، وأنهم في منزلة عالية، فقال: " **إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا**".

حيث أستأنف كلامًا جديدًا أبان فيه عن السبب مؤكدًا بـ "**إنَّ**" والفعل المضارع " **يَدْخُلُونَ**" الذي يدل على التجدد والاستمرار مع المقارنة بغيرهم في قوله:" **قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ** "، ولم يكتف بذلك وإنما حدد مدة دخولهم الجنة، فقال: "

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٣٣١٤/١٠، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز(مكة المكرمة– الرياض)، ط: الأولى، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

(٢) مرقاة المفاتيح، ٣٢٨٢/٨.

أَرْبَعِينَ خَرِيفًا" **والخريف:** الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء ويريد به أربعين سنة لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة فإذا انقضى أربعون خريفًا فقد مضت أربعون سنة(١).

ولم يكتف الرسول (ﷺ) في بيان مدى اهتمامه وعنايته ب "**الْمِسْكِين**" عند هذا الحد، وإنما ترقي في بيان هذا الاهتمام من الناحية المادية بنداء السيدة عائشة–رضي الله عنها–، فقال:" **يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي المِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**" وكأنه (ε) يقول: يا عائشة إذا اتضح لكِ أمرهم وعلو مكانتهم فلا ترديهم ولو بأقل القليل، ولشدة حرصه (ε) على المساكين واهتمامه بهم لم يفصِّل للسيدة عائشة . رضي الله عنها . في المعطى وإنما تنزَّل إلى أقل شيء يمكن إعطاؤه " **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**"؛ للحث على عدم ردهم، ورغبة في إعطائهم ماتيسر، ولم يقتصر الرسول (ﷺ) على العطاء المادي، فليس القرب بمجرد الإطعام، وإنما ترقى من العطاء المادي إلى العطاء المعنوي؛ ولا شك أن العطاء المعنوي أثره أعظم من العطاء المادي، فقال:" **يَا عَائِشَةُ أَحِبِّي المَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ**" فكرر النداء مرة ثانية، وهذا التكرار مع كل طلب زيادة في العناية والاهتمام، فالنداء "إنما يُحتاج إليه، ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظُم العناية بها، ويُخاف بتركه وقوع الغلط، والنسيان فيها، والاستهانة بقدرها"(٢)، وقد تمثل العطاء المعنوي في قوله:" **أَحِبِّي المَسَاكِينَ**" أي: بقلبك(٣)، وفي موضع آخر نجد أن الله عز وجل أمر رسوله (ﷺ) أن يقول في صلاته: "..**اللَّهمَّ إنِّي أسألُك فِعلَ الخيراتِ وتركَ**

(١) تحفة الأحوذى، ١٦/٧.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي (طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول، ص ٥٢، دار المعارف، ط: الرابعة (د–ت).

(٣) مرقاة المفاتيح، ٣٢٨٣/٨.

المنكراتِ وحبَّ المساكين..."[1]، وهذا إن دل فإنما يدل على علو مكانتهم، ورفعة درجاتهم.

ولم يكتف الرسول (ﷺ) بهذه الدرجة في بيان اهتمامه بالمساكين وإنما ترقي إلى درجة أعلى، فقال: " **وَقَرِّبِيهِمْ** " أي: إلى مجلسك حال تحديثك[2]، ولما كانت هذه الدرجة أعلى مما قبلها رتبَّ الرسول (ﷺ) عليها الجزاء، وهو قرب الله عز وجل للعبد يوم القيامة، فقال:" **فَإِنَّ اللَّـهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ القِيَامَةِ**" أي: بتقريبهم، تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى[3]، وقد صاغ الرسول (ﷺ) هذا الجزاء صياغة تشعر بمزيد من الحث والتحريض، فبدأ بـ "**إنَّ**" التي تؤكد هذا الحكم وتقويه، ثم أشار إلى عظم هذا الجزاء بأنه يكون من الله . عز وجل . ومن خلال التعبير بالفعل المضارع " **يُقَرِّبُكِ** " الذي يدل على التجدد والاستمرار مما يكون أدعى إلى الامتثال، وتخصيص الزمن الذي يكون فيه وهو " **يَوْمَ القِيَامَةِ**" الوقت الذى يكون فيه الإنسان في أمس الحاجة إلى شيء يرفع مكانته عند الله عز وجل فالجزاء من جنس العمل؛ لكن هذا الجزاء أعلى مكانة لأنه من عند الله عز وجل، والمتأمل في هذه الدرجة والجزاء عليها يجد أن الرسول (ﷺ) قد رفع مكانة المساكين، برفع درجة من يحبهم ويقربهم.

علام يدل هذا الحشد من الأساليب البلاغية في سياق الحديث عن " الْمِسْكِين"؟

إن الرسول (ﷺ) كان يرمي من وراء هذا الحشد من الأساليب البلاغية ومن خلال الأسلوب المحوري (الأمر) إلى تحقيق غاية دينية بالدرجة الأولى، وهي: الاهتمام بالمساكين وحبهم وتقريبهم، وبيان عِظم مكانتهم عند الله –

(١) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص، حديث رقم : (٣٢٣٣).
(٢) مرقاة المفاتيح، ٣٢٨٣/٨.

(٣) مرقاة المفاتيح، ٣٢٨٣/٨.

تعالى– وعند رسوله (ﷺ)، وفي الوقت نفسه يحذِّر ويتصاعد التحذير من التعالي عليهم وإهانتهم، والتنفير منهم فعلى قدر الترغيب الشديد في حب المساكين، يكون التحذير الشديد من بغضهم والتعالي عليهم.

إنَّ هدف الرسول (ﷺ) ليس مجرد توصيل الرسالة فحسب، وإنما كان يملك وسائل التأثير والإقناع مما يعينه على إنجاز ما يدعو إليه، فـ "لما كان هدف الأديب إذا نطق أو كتب أن يخبر السامع أو القارئ بما يقصد إليه من الأغراض، وأن ينقل إليهما ما يشعر به في قرارة قلبه، ويكشف لهما عما في ضميره، حتى يشعرا بما يشعر هو به، وينفعلا كانفعاله، كانت وسيلته إلى ذلك العبارة البليغة المؤثرة"(١).

ثانيًا: النهـــي.

عرفه البلاغيون بأنه: طلب الكف عن الفعل استعلاءً(٢).

وله صيغة واحدة عند البلاغيين، وهي : صيغة المضارع المقترن بـ "لا" الناهية الجازمة(٣).

وقد استعمله الرسول (ﷺ) في الوصية باليتيم مرة واحدة (١) ، وذلك في سياق: الترهيب من التولِّي على ماله.

فعَنْ أَبِـي ذَرٍّ (ﷺ) أَنَّ رَسُـولَ اللهِ (ﷺ) قَـالَ: « يَـا أَبَـا ذَرٍّ، إِنِّـي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّـي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»(٤).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني: وجهوده في البلاغة العربية، د/ أحمد أحمد بدوي، ص٩٤، ط: الثانية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الناشر مكتبة . مصر .

(٢) ينظر: المطول ، ص ٢٤١.

(٣) ينظر: مواهب الفتاح ، ٢/٣٣٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم (١٨٢٦).

هذا الحديث " أصل عظيم في اجتناب الولايات لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية... ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذَّره (ﷺ) منها وكذا حذَّر العلماء وامتنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا"(١).

خصائص بيان الرسول (ﷺ) في التحذير من التولِّي على مال اليتيم:

استخدم الرسول (ﷺ) من الأساليب البلاغية المحورية هنا في التحذير من التولِّي على مال اليتيم أسلوب النهي:" **وَلَا تَـوَلَّيَنَّ مَـالَ يَتِـيمٍ**" وقد جاء النهي بصيغته الصريحة (لا تفعل) دون غيرها، وكذلك مؤكدة بنون التوكيد الثقيلة، وهذا من شأنه أن يمنح النهي توكيدًا وقوة.

التمهيد للنهي بمقدمة استدراجية:

ومما يلاحظ في بناء الحديث هنا أن النبي (ﷺ) قد مهد لهذا النهي المؤكَّد بمقدمة استدراجية تستميل المخاطب وتستعطفه وتدنيه إلى سماع ما يلقى عليه، حتى يكون ذلك أدعى إلى سرعة الاستجابة والامتثال لما يقول، فالاستدراج "هو استمالة المخاطب بما يؤثره، ويأنس إليه، أو بما يخوفه، ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه، وهذا باب واسع، وهو أن يقدم المتكلم ما يعلم أنه يؤثر في نفس المخاطب من ترغيب، وترهيب، وإطماع، وتزهيد، وأمزجة الناس تختلف في ذلك ، فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه"(٢).

حيث بدأ الرسول (ﷺ) بهذا النداء" **يَـا أَبَـا ذَرٍّ**" وهذا النداء فيه تنبيه لأبي ذر(رضي الله عنه) ولفت له، إذ البنية الندائية تتميز من بين الأساليب الطلبية بتأكيد بُعد

(١) شرح النووي على مسلم، ٢١٠/١٢، ٢١١، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) الأقصى القريب في علم البيان، للتنوخي، ص ١٠٣، مطبعة السعادة، ط: الأولى، ١٩٨٦.

الانفتاح، فهو انفتاح وانتشار باتجاه العالم الخارجي والداخلي[١]، كما صرح باسمه في النداء؛ وذلك زيادة في استمالته واستعطافه، وقرن النداء بعلته، فقال: " **إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا**" وهي إما من الرأي: أي أظنُّك، أو من الرؤية العلمية: أي أعرفك، ضعيفًا عن القيام بوظائف الولايات فتعجز عن تنفيذ أمورها ورعاية حقوقها[٢].

وأكد هذا الحكم بـ "**إنَّ**" والتعبير بالرؤية؛ لأن الرؤية لا تكون إلا للموجود[٣]، وهذا الضعف الذي وُصف به أبوذر (ﷺ) لا يغض من شأنه ولا ينقص من قدره "وإنما المراد به عدم القدرة على إدارة ما يتولاه لأن الولاية حسن إدارة وحرص على أموال الناس ومعاشهم وأبو ذرٍّ طلَّق الدنيا والمال طلاقًا لا رجعة فيه وكان يُحرِّم كنز الدرهم والدينار، ولو ولى مال يتيم لأضاعه، ولو ولى أمر اثنين لأجاعهما"[٤].

الترقي في الاستدراج:

لم يكتفِ الرسول (ﷺ) في استمالة أبي ذر (ﷺ) واستدراجه بندائه وبيان حاله، وإنما ترقى في الاستمالة والاستدراج بذكر مكانته عند رسول الله (ﷺ) حيث قال:" **وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي**" "وهذا تلطف من النبى (ﷺ) وتحريض على سماع قوله"[٥].

(١) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي (دراسة بنيوية في الشعر)، كمال أبو ديب، ص ٦٩، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح ، ٦/٢٤٠١، دليل الفالحين ٥/١٤٠.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية، ص ٩٤.

(٤) شرح أحاديث من صحيح مسلم [دراسة في سمت الكلام الأول] دكتور/ محمد محمد أبو موسى، ١/٥٣٥، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠١٥م.

(٥) دليل الفالحين، ٥/١٤٠.

ثم تدرج الرسول (ﷺ) صاعدًا في التحذير عن تولِّي مال اليتيم، وذلك باقترانه بما هو أشد خطورة، وهو النهي عن طلب الإمارة، وقد أكد هذا النهي" **لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ**" بنون التوكيد الثقيلة، وبالنهي عن الأقل" **عَلَى اثْنَيْنِ**" ويتصاعد هذا التحذير من تولِّي أبي ذر(ﷺ) الإمارة بالتفصيل في رواية أخرى، **فعَنْ أَبِي ذَرٍّ(ﷺ) ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»**[1] .

تأمل هذا النهي المؤكَّد لأبي ذر(ﷺ) عُطِف عليه نهي مؤكَّد كذلك يخلع على التحذير تشديدًا وقوة، فيكون ذلك أدعى لأبي ذر(ﷺ) إلى الامتثال، وسرعة الاستجابة.

ما وجه نهي الرسول (ﷺ) أباذر(ﷺ) عن تولِّي الإمارة ومال اليتيم؟

لقد رأى الرسول (ﷺ) في أبي ذر(ﷺ) ما يجعله غير قادر على تحمل هذه المسؤولية لِعِظمها، فقد كان "الغالب عليه الزهد واحتقار الدنيا وترك الاحتفال بها، ومن كان هذا حاله لم يعتن بمصالح الدنيا ولا بأموالها اللذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين ويتم أمره، وقد كان أبو ذر أفرط في الزهد في الدنيا، حتى انتهى به الحال إلى أن يفتي بتحريم الجمع للمال وإن أُخرجت زكاته، ...، فلما علم النبي (ﷺ) منه هذه الحالة نصحه ونهاه عن الإمارة وعن ولاية مال الأيتام، وأكَّد النصيحة بقوله وإني أحب لك ما أحبُّ لنفسي، وغلَّظ الوعيد بقوله وإنها أي الإمارة خزي وندامة..." [2].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب : كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم : (١٨٢٥).

(٢) المفهم للقرطبي، ٤/٢١.

وهكذا أقام الرسول (ﷺ) بيانه في التحذير من تولِّي أبي ذر(رضي الله عنه) مال اليتيم على أسلوب النهي المؤكَّد الذي تعاضد معه كثير من الخصائص التي تصعِّد هذا التحذير وتبلغ به منتهاه، حتى يتحقق الإقناع وسرعة الاستجابة.

ثالثًا: النداء.

النداء في اللغة هو: طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظًا أو تقديرًا(١).

والنداء يُعِّدُ النفس ويهيئها لتلقي ما يطلب منها، فهو" يوقظ النفس، ويلفت الذهن، وينبه المشاعر، فإذا ما جاء بعده الأمر أو النهي أو الاستفهام صادف نفسًا مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واعٍ وذهن منتبه"(٢).

وقد جاء النداء في بيان النبوة أسلوبًا بلاغيًّا محوريًّا في الترهيب من التعدِّي على حق اليتيم والمرأة؛ وذلك لإيقاظ المتلقي، ولفت انتباهه إلى هذا التحذير فيكون أقوى أثرًا، وأنجع استجابة.

ومما جاء على أسلوب النداء في الوصية باليتيم والمرأة، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: « اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»**(٣).

(١) ينظر: المطول، ص٢٤٤.

(٢) علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني) الدكتور/ بسيونى عبدالفتاح فيود، ص ٤١٩، مؤسسة المختار، ط: الثالثة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

(٣) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء، باب: حق المرأة على زوجها، حققه وخرج أحاديثه/ حسن عبدالمنعم شلبي وآخرون، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. حديث رقم: (٩١٠٤).

هذا الحديث للتحذير من تضييع حقوق اليتيم والمرأة، والحث على الرفق بهما، ووجوب المحافظة على حقوقهما لزيادة ضعفهما.

وقد تجلت لنا مظاهر العناية والاهتمام بالضعيفين بأن صاغ الرسول (ﷺ) الوصية بهما في قالب النداء، فقال:" **اللهُمَّ**" والابتداء بالنداء دليل على عِظم ما سيأتي بعده، وهو ما يسمى في علم البلاغة بـ "براعة الاستهلال"(١)، وقد آثر الرسول (ﷺ) صيغة الدعاء "**اللهُمَّ**" ففرق بين نداء الرب ونداء الإله، فلفظ الربوبية فيه معنى التربية والعناية، أما لفظ الألوهية ففيه تعظيم وعزة ومهابة، يقول ابن القيم: "وإذا علم هذا من شأن الميم فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله . سبحانه . به في كل حاجة وفي كل حال إيذانًا بجميع أسمائه وصفاته ، فالسائل إذا قال: "اللهم إني أسألك" كأنه قال: "أدعو الله الذى له الأسماء الحسنى والصفات العلى بأسمائه وصفاته، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذانًا بسؤاله . تعالى . بأسمائه كلها"(٢).

فهذه الصيغة من صيغ النداء تخلع على الحق تعظيمًا وتفخيمًا لا نلمحه مع غيره من الصيغ، كما أنها تتناسب مع وجوب الحفاظ على حق الضعيفين وأن الاعتداء عليهما جُرم عظيم.

وإذا كان النداء بهذه الصيغة " **اللهُمَّ**" وتصدير الحديث بها يخلع على حق الضعيفين تعظيمًا لحقوقهما، وتحذيرًا من التعدِّي عليهما، فإن مما يؤكد

---

(١) براعة الاستهلال : هو أن يكون الكلام دالًا على ما يناسب حال المتكلم، متضمنًا لما سيق الكلام لأجله من غير تصريح بل بألطف إشارة يدركها الذوق السليم.

ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، حققه وترجم لشعرائه/ شاكر هادي شكر، ص٥، مطبعة النعمان– النجف الأشرف، ط: الأولى، ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م.

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، تحقيق الشيخ/ زائر بن أحمد التشيري، ص٧٣، دار عالم الفوائد، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.

عِظم حقيهما – أيضًا–: التأكيد بـ"**إنَّ**" وضمير المتكلم الرسول (ﷺ) " **ياء**" ثُمَّ إسناد الفعل إليه مرة أخرى" **أُحَرِّجُ**". فإنَّ ذلك كله يؤكِّد حق هذين الضعيفين وإنهما عند الله – تعالى– بمكان، وكذلك عند رسوله (ﷺ).

الترقي في الترهيب من تضييع حقوقهما:

ثم ترقى الرسول (ﷺ) في التحذير من تضييع حقوقهما وذلك باختيار الفعل "**أُحرِّجُ**" وما يحمله من دلالات قوية في التحذير، فهو من الحرج، أي : الإثم والضِّيق، وحرَّج فلانُ على فلانٍ إذا ضيَّقَ عليه، وأحرّجْت فلانًا صَّيرْتُه إلى الحرجِ، وهو الضيقُ، ومنه الحديث اللهم إني أحِّرج حقَّ الضعيفين: اليتيم والمرأة، أي: أضيِّقُهُ وأحرِّمُهُ على من ظلمهما(١)، أي: أُضيِّق عليه تضييقًا ليس بعده تضييق.

فلما كان المقام للتحذير والترهيب اختار الرسول (ﷺ) من الكلمات ما يصوِّر لنا مدى انفعاله بهذا التحذير، يؤكد ذلك الدلالة الصوتية لـ "الهمزة – الحاء – الراء – الجيم" وتضعيف الراء ، فالبنية الصوتية للكلمة تصور معناها فـ "الجانب الصوتي للكلمة بما له من جرس وإيقاع في الأذن يترك أثره في النفس ترغيبًا أو ترهيبًا أو خلافهما دون أن ينفك عن الجانب الدلاليّ والمعنويّ للكلمة، وبذلك يلتقي الجانبان في أداء غرض التأثير"(٢).

ففرق بين أن يقول الرسول (ﷺ): "أُحرِّمُ" "أحذِّرُ" "أُحَرِّجُ" فالتحريم يعطي الحكم فقط، والتحريج أبلغ من التحذير، فإذا بلغ التحذير غايته كان تحريجًا، فالكلمة بدلالتها تدل على الترقي في المعني؛ لأنها تتضمن معنى التحريم والتحذير بالإضافة إلى التضييق والإثم، فالظالم قد يظن أنه بالاستيلاء على هذا الحق يُوسِّع على نفسه، بل بالعكس فهو بهذا الفعل يكون حاله في أضيق

(١) اللسان، مادة: (حرج).

(٢) الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية)، د/ آمال يوسف المغامسي، ص ١٧٤، الدار المتوسطية للنشر . تونس، ط: الأولى، ١٤٣٧هـ–٢٠١٦م.

الضيق، وهذا مصداقًا لقول الرسول (ﷺ): "**مَن أخَذَ أمْوالَ النَّاسِ يُرِيدُ أداءَها أدَّى اللَّهُ عنْه، ومَن أخَذَ يُرِيدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللَّهُ**"(١).

فعندما قال الرسول (ﷺ) "**أُحَرِّجُ**" لم يكن تحذيرًا فحسب، وإنمَّا ترقى في التحذير ، وبلغ الغاية في الترهيب من تضييع حق الضعيفين؛ لأنهما "لاجاه لهما يلتجئان إليه ويحاجّ عنهما سوى المولى سبحانه وتعالى فالمتعرض لهما كالمخفر في عهده فهو حقيق بأنواع الوبال، وهذا بخلاف الكامل من الرجال فإن الغالب منهم من يعتمد على قوته أو قوة من يركن إليه ويعول في أمره عليه مخلوق ذي أمر صوري، ومن اعتز بغير الله ذل"(٢).

سر إيثار التعبير في الدعاء بالفعل المضارع دون الأمر:

صاغ الرسول (ﷺ) الدعاء في قالب الجملة الخبرية، لأنه "ربما تظهر سرعة الامتثال في الفعل المضارع دون الأمر، باعتبار أن المضارع يدل على الحال بخلاف الأمر فإنه يدل على الاستقبال، ومن ثم تحقيق سرعة الامتثال في التعبير بالجملة الخبرية بدلًا من الجملة الإنشائية"(٣).

ثم عظَّم الرسول (ﷺ) أمرهما من خلال التعبير بكلمة " **حَقَّ** " دون "مال" وذلك ليكون أعم يشمل المال وغيره، كما أن في هذا التعبير دليلًا على أنه حقهما ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليه، ولهذا كان جزاؤه التضييق عليه؛ لأنه لم يأخذ حقه، وإنما أخذ حقًا صاحبه في أشد الحاجة إليه.

ثم زاد الرسول (ﷺ) في تعظيم هذا الحق من خلال إضافته إلى " **الضَّعِيفَيْنِ**" إضافة تخصيص، أي: إنه من حقهما وليس لأحد حق فيه، وفي هذا الوصف "استعطاف وزيادة في التحذير والتنفير فإن الإنسان كلما كان أضعف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب في الاستقراض، باب: من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، حديث رقم : (٢٣٨٧).

(٢) دليل الفالحين، ٣/٩١.

(٣) فن البلاغة، د/ عبدالقادر حسين، ص ٢٦٩، عالم الكتب . بيروت، ط:٢، ١٩٨٤م.

كانت عناية الله به أتم وانتقامه من ظالمه أشد"[١] فكان من المفترض أن يُحافظ على حقهما، ويسعى في مساعدتهما، يؤكد هذا الجملة الاسمية "إِنِّي **أُحَرِّجُ**" وما تفيده من الثبوت واللزوم، والتعبير بالفعل المضارع "**أُحَرِّجُ**" الذي يفيد التجدد الاستمرار وكأن الدلالتين معًا تفيدان ثبات الرسول (ﷺ) على موقفه من التحريج والتضييق على الظالم في كل زمان ومكان.

الانتقال من الإجمال إلى التفصيل:

لم يكتفِ الرسول (ﷺ) بذكرهما مجملين، وإنما نظرًا لشدة اهتمامه بهما وعِظم مكانتهما ذكرهما مرتين، مرة بطريق الإجمال " **الضَّعِيفَيْنِ** " ومرة بطريق التفصيل " **الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ**" زيادة في البيان والتوضيح فيكون أوقع وأمكن في نفس السامع، ثُمَّ إنَّ وصفهما بالضعف دليل على أنهما اشتركا في هذا الوصف، ولكن قُدِّم " **الْيَتِيمِ**"؛ لأنه أقوى في الضعف من " **الْمَرْأَةِ**" فيجب العناية به والاهتمام بشأنه، كما أن ما له مطمع لكل أحد فلا يستطيع الدفاع عن نفسه، فتقديم أحدهما على الآخر يوحي بشدة ضعف المقدَّم على المؤخَّر، من هنا نلحظ أن التقديم كان مراعاة للجانب الإنساني؛ لأن حاجة اليتيم إلى الرأفة والرحمة أولى.

كما أن المرأة بطبيعتها ضعيفة تحتاج إلى من يعتني بها ويقوم على أمورها فالأرملة وإن لم يصرح بها هنا فهي أولى.

وهكذا تلتقي هذه الخصوصيات البلاغية وما لها من دلالات بالغة التحذير من التعدِّي على حق الضعيفين مع الأسلوب المحوري الذي بني عليه الحديث، نداء الألوهية" **اللهُمَّ**" ليترقى التحذير ويتصاعد الترهيب الأمر الذي يجعل المتلقي أسرع إلى الاستجابة إلى الحفاظ على حق هذين الضعيفين.

(١) فيض القدير، ١٢٨/١.

المبحث الثالث:

التشـبيه.

هو: "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معني بإحدى أدوات التشبيه" (١).

وهـو مـن الأسـاليب البلاغيـة التـي اعتمـدها الرسـول (ﷺ) فـي الوصـية بالضعفاء [اليتيم . المسكين . الأرملة]، وإبراز منتهى العناية والاهتمام بهم، وذلك لزيادة البيان والتوضيح والتقريب؛ وليكون عنصرًا فاعلًا في غاية الإقناع والتأثير، ففائدة التشبيه " أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو معناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا قبيحًا يدعو إلى التنفير عنها" (٢)، فالتشبيه "لا يعمد إليه إلا لضرب من المبالغة: فإما أن يكون مدحًا أو ذمًّا، أو بيانًا أو إيضاحًا، ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة" (٣).

وقد جاءت الوصية بالضعفاء "اليتيم . المسكين . الأرملة" في قالب التشبيه في سياقين:

السياق الأول: الترغيب في كفالة اليتيم.

السياق الآخر: الترغيب في السعي على الأرملة والمسكين.

---

(١) علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، الدكتور/ بسيوني عبدالفتاح فيود، ص٢١، مؤسسة المختار، ط: الثالثة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، المحقق/ أحمد الحوفي . بدوي طبانة، ٩٩/٢، دار نهضة مصر، الفجالة . القاهرة.

(٣) السابق، ١٠٢/٢.

السياق الأول: الترغيب في كفالة اليتيم.

من الضعفاء الذين اهتم بهم الرسول (ﷺ) اليتيم، فحثَّ على كفالته، وحذَّر من التعدي عليه، سواء أكان التعدي بأكل ماله أم قهره أم غير ذلك.

عَنْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(١).

هذا الحديث فيه "حث على كفالة اليتيم، وكفالة اليتيم هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه؛ بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن"(٢).

خصائص الرسول (ﷺ) في الإبانة عن مكانة كافل اليتيم:

مما يلاحظ في هذا الحديث أنَّ الرسول (ﷺ) أقام بناءه في بيان مكانة كافل اليتيم، وعِظم منزلته على أسلوب بلاغي محوري هو التشبيه، فالتشبيه هو عمدة هذا البناء؛ حيث شبَّه الرسول (ﷺ) حاله مع كافل اليتيم بحال السبابة مع الوسطى في بيان منتهى القرب وعِظم المكانة والمنزلة، ومنتهى الاقتران والجوار، وفي صياغة طرفي التشبيه ما يستدعي الوقوف لبيان الأسرار والدقائق التي تكمن وراء هذه الصياغة، وكيف نهضت بالغرض المقصود: فقد بدأ الحديث بضمير العظمة" **أَنَا**" وفي هذا التعبير تعظيم له (ﷺ) وإبراز لعلو شأنه، كما أنه يعطي مزيدًا من الاختصاص للرسول (ﷺ) بهذا الأمر، وفي التعبير . أيضًا . تأكيد وتقوية للحكم، وفي الوقت نفسه يخلع من التعظيم وعلو المكانة على من يكفل اليتيم ويتولى أموره، فهو يحمل معنى البشارة والترغيب، كما أن التعبير بالضمير فيه لفت لانتباه المخاطبين وتشويقهم إلى معرفة ما سيلقيه عليهم، وتمام

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب : فضل من يعولُ يتيمًا، حديث رقم: (٦٠٠٥).

(٢) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (ﷺ) للنووي، شرح فضيلة الشيخ العلامة/ محمد بن صالح العثيمين، ١٢٣/٢، مؤسسة زاد، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

الثقة بأن ما يقال سيكون جزاءٍ لمن امتثل، ومجيء هذا الضمير معطوفًا عليه " **كَافِلُ** " دليل على الشعور الإنساني، وبيان مدى اهتمام الرسول (ﷺ) باليتيم ومدى حرصه عليه؛ لأنه في أشد الحاجة إلى العون والمساعدة، فقد اقتضى السياق ذلك، ثم اختار (ﷺ) التعبير بالكفالة دون الضمان، فلم يقل: "أنا وضامن" لأن الكفالة تشعر بالمسؤولية الكاملة لليتيم، فالكافل: القائم بأمر اليتيم المُربي له، والكافل: العائل[١]، كما أن " الكفالة تكون بالنفس والضمان يكون بالمال ألا ترى أنك تقول كفلت زيدًا وتريد إذا التزمت تسليمه وضمنت الأرض اذا التزمت أداء الأجر عنها، ولا يقال كفلت الأرض لأن عينها لا تغيب فيحتاج إحضارها فالضمان التزام شيء عن المضمون والكفالة التزام نفس المكفول به ومنه إحضارها فالضمان التزام شيء عن المضمون والكفالة التزام نفس المكفول به ومنه كفلت الغلام إذا ضممته إليك لتهوله ولا تقول ضمنته لأنك إذا طولبت به لزمك تسليمه ولا يلزمك تسليم شيء عنه وفي القرآن (وكفلها زكريا) ولم يقل ضمنها، ومن الدليل على أن الضمان يكون للمال والكفالة للنفس أن الإنسان يجوز أن يضمن من لا يعرفه ولا يجوز أن يكفل من لا يعرفه؛ لأنه إذا لم يعرفه لم يتمكن من تسليمه ويصح أن يؤدى عنه وإن لم يعرفه"[٢].

وهذه الكلمة فيها إيجاز قصر[٣]؛ لأنها تحمل الكثير من المعاني، فهي تشمل الكفالة التعليمية والتربوية والإرشادية والكفالة المهنية والحياتية، والكفالة الاجتماعية والمالية، والكفالة العاطفية والكفالة الطبية[٤]، ففي هذه البنية التي هي

(١) ينظر: اللسان، مادة: (كفل).

(٢) الفروق اللغوية، ص ٢٠٧.

(٣) إيجاز القصر: هو تضمين العبارات القليلة القصيرة معاني كثيرة غزيرة دون أن يكون في تراكيبها لفظ محذوف، ينظر: علم المعاني، الدكتور/ بسيونى عبدالفتاح فيود، ص ٤٩٢.

(٤) كفالة اليتيم (فضلها . وجوبها) محمد خلف يوسف، ص٢١-٢٦، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

في غاية الإيجاز ما يشعرنا بمدى حاجة اليتيم إلى من يقوم على رعايته، الأمر الذى يتطلب سرعة الاستجابة لما أمر به الرسول (ﷺ)؛ ولذلك لم يخصصها وإنما عممها لتشمل كل ما يحتاج إليه اليتيم من عناية واهتمام في جميع أموره، كما أنها صيغت في قالب اسم الفاعل " **كَافِلُ**" دلالة على ديمومته على هذا الفعل، فلم يقم به مرة واحدة أو مرات عديدة، وإنما داوم وثبت واستقر عليه، وفي إضافة الكافل إلى اليتيم ما يشعر بشدة حاجته إلى من يقوم على رعايته، ويتولى أموره، كما أن في هذه الإضافة تشريفًا وتكريمًا لمن يقوم بهذا العمل إرضاءً لله – عز وجل– ثم زاد الرسول (ﷺ) من اهتمامه باليتيم فقدَّم الجزاء " **فِي الْجَنَّةِ**" وذلك لإدخال السرور على قلب من يقوم بهذا الأمر، وزيادة في ترغيبه، ويؤكد ذلك بتحديد المكان بكونه " **الْجَنَّةِ**" فكان من الممكن أن يقول: "كفالة اليتيم لها أجر عظيم"، ولكن تحديد المكان . الجزاء . يتناسب مع عِظم العمل؛ لأنه لما كانت الكفالة لها خصوصية بكونها أمرًا دائمًا في شؤون اليتيم وأموره، ولم تُقيَّد بأمر معين ناسب أن يكون بجانبه (ﷺ) وهذا من باب التناسب بين العمل والجزاء.

ثم انتقل الرسول (ﷺ) إلى بيان مكانة كافل اليتيم، فقال: " **هَكَذَا**" فأقام بيان هذه المكانة على التشبيه زيادة في البيان والتوضيح؛ لإقناع المتلقي، وهذا التشبيه يعكس لنا مدى قُرب كافل اليتيم من الرسول (ﷺ) في الجنة ، يظهر ذلك من خلا "الهاء" التي تنبه المخاطبين، وكأن أمر هذا القرب غير متوقع بالنسبة لهم، فأكد ذلك بـ "كاف" التشبيه التي تجعل المشبه عين المشبه به، ثم استعمل اسم الإشارة الذى هو للقريب "**ذَا**" إظهارًا لشدة القرب، وجعل هذه المكانة في غاية الوضوح والتمييز وكأن الإنسان يراها شاخصة أمامه، زيادة في الترغيب والحث وشدة الحرص على هذه المكانة.

الترقي في بيان مكانة كافل اليتيم من البيان القولي إلى البيان الفعلي:

ونظرًا لعلو درجة كافل اليتيم . فعلى قدر المشقة في العمل سيكون الجزاء . لم يكن التشبيه وحده كافيًا في إبراز هذه المكانة، فترقى الرسول (ﷺ) من البيان

القولى "**هَكَذَا**" إلى البيان الفعلي" **وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى**" زيادة في البيان والتوضيح، فالتشبيه يرينا قربه من الرسول (ﷺ) ولكنه لا يعطينا مقدار هذا القرب، فأبان لنا عن منتهى قربه من خلال البيان الفعلي فـ " الوسائل غير اللفظية تقوم في كثير من الأحيان بدور مساعد للوسائل اللفظية، وهو دور لا يستغنى عنه في تحقيق تواصل على مستوى عال، فالمتكلم يضيف بوسائله غير اللفظية مفاتيح جديدة تخدم المعنى"(١).

وأكد لنا منتهى القرب من خلال عطف الوسطى على السبابة مناسبة كما جاء في صدر الحديث من عطف "كافل" على الضمير" **أَنَا**" وهذا العطف أبان لنا عن منتهى القرب، فالعطف في نهاية الحديث جاء تأكيدًا لما ورد في صدر الحديث.

وإذا تأملنا هذا الحديث وجدناه قد بُني من أوله إلى آخره، على بيان مكانة كافل اليتيم مما يشعر بعظيم المسؤولية التي تدعو إلى عظيم المنزلة التي لا يشاركه فيها أحد.

وقد أراد الرسول (ﷺ) أن يجمع مع الإقناع العقلي الإمتاع الوجداني وشدة التأثير، فليس مجرد مبلِّغ، وإنما يملك من الوسائل ما يضمن نجاح رسالته، وتأثيرها في المتلقي، وسرعة الاستجابة لها.

ما وجه هذا الاتحاد في المنزلة بين كافل اليتيم وبين رسول الله (ﷺ)؟

لعل الحكمة في هذا الاتحاد ترجع إلى أن الرسول (ﷺ) "من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلًا لهم ومعلمًا ومرشدًا، وكذا كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه

(١) لغة بغير كلمات، د/ أحمد مختار عمر ضمن كتاب (تمام حسان رائدًا لغويًّا)، ص٨٤، عالم الكتب، ١٤٢٣هـ-٢٠٢٠م.

فظهرت مناسبة ذلك"[١].

علام يدل هذا الاهتمام من الرسول (ﷺ) باليتامى؟

إنَّ هذا الاهتمام من الرسول (ﷺ) باليتامى، يرجع أول ما يرجع إلى نشأته، فقد نشأ يتيمًا، وتولاه الله – تعالى– بعنايته ورعايته وكلاءته وحفظه، تأمل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ (الضحى: الآية٦) ومن صُنع معه كذلك، كان من واجب شكر هذه النعمة، أن يهتم بأمر اليتامى، وبالوصية بهم، وبمن يتولى أمرهم، وأن يبلغ في بيان ذلك أقصى غايته؛ لأن "من ذاق مرارة اليُتم نفسه، فأخلق به إذا كان ذا شعور ومروءة أن يستشعرها في غيره، فاليتيم أعرف خلق الله بحال اليتيم، وأعرف بما يذوقه ويتحمله، فإنه قد اجتاز هذه المرحلة . أيضًا. فأراد الله . سبحانه . أنه لا ينسى يتمه مهما طال عهده ، وأن يستحضره عند رؤية اليتيم"[٢].

وهكذا استثمر النبي (ﷺ) طاقة التشبيه في إقناع المتلقي بفكرته وفي التأثير عليه حتى يستجيب لما طُلب منه، وهو الترغيب في كفالة اليتيم ، والعناية والاهتمام بشأنه.

السياق الثاني: الترغيب في السعي على الأرملة والمسكين.

إذا كان الرسول (ﷺ) قد اعتمد أسلوب التشبيه أسلوبًا محوريًّا في بناء الحديث السابق؛ للكشف عن مكانة كافل اليتيم لما له من طاقة فاعلة في البيان والتوضيح، والإقناع والتأثير، فإنه كذلك يعتمده في بيان مكانة الساعي على" **الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ**"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ): قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ

(١) دليل الفالحين، ٣/٨١.

(٢) تأملات في القرآن الكريم، تأليف/ أبو الحسن الندوي، ص ٨٣، دار القلم . دمشق، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ»(١).

هذا الحديث لبيان " فضل ما للسَّاعي لِقوَامِ عيشه وعيش مَن يقوم به، وابتغاء فضل الله الذي به قوام بَدَنِهِ لعبادة ربه، وقَوَام مَن يَمُونُه ويستر عوراتهم، وأجر نفقاتهم أنه كالمجاهد، وكالصائم القائم؛ وذلك أنه في كل تصرفٍ له في ذلك في طاعة ربه وامتثال أمره"(٢).

أقام الرسول (ﷺ) الوصية بالأرملة والمسكين في قالب التشبيه، فقال: "**السَّاعِي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالمُجَاهِدِ في سبيل الله**"، ولم يقل: " **السَّاعِي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ له منزلة عظيمة**"؛ لأنه (ﷺ) أراد أن يرينا هذا الجزء في صورة محسوسة زيادة في إقناع المخاطب بعِظم الجزاء على هذا العمل زيادة في الحث على الامتثال بهذه الوصية، وقد بدأ جملة التشبيه بالمشبه، فقال: " **السَّاعِي**" فعبر بالسعي دون المشي؛ لأن هذا الأمر يتطلب مزيدًا من الإسراع والمبادرة وزيادة نشاط وقوة ، **فالسعي** هو "المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدِّ في الأمر خيرًا كان أو شرًّا"(٣)، ولأن هذا السعي فيه مداومة ومشقة ومكابدة وشدة جهد واهتمام صاغه في قالب اسم الفاعل؛ دلالة على ملازمته للسعي وديمومته وثباته عليه، فحاجتهم لا يتناسب معها السعي مرة واحدة أو مرات، كما لا يتناسب معها بطء الحركة، وإنما علو الحركة، فعلى قدر الحاجة تكون شدة الحركة، وهذا جانب إنساني من الرسول (ﷺ) راعى فيه حاجة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب: الإحسان إلى الأرملة، حديث رقم: (٢٩٨٢).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم لأبي الفضل، تحقيق الدكتور/ يحيى إسماعيل، ٥٣١/٨، دار الوفاء – مصر، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص ٤١١.

من يسعى عليهم، فهنا تجاوب بين علو الحركة في التعبير بالسعي وبين شدة الحاجة؛ لأن حاجة الأرملة والمسكين قد يتغافل عنها الناس، فناسب أن يحث عليها، وهذا كله من مظاهر العناية والاهتمام، ويؤكد شدة حاجتهما وصعوبة السعي عليهما، وأن الساعي عليهما يحتاج إلى مزيد من المشقة والتحمَّل أنه (ﷺ) عدَّى السعي بـ "**على**" دلالة على أن الساعي يجب عليه أن يشملهما بعنايته واهتمامه، فليست العناية منصبة على جانب دون آخر، ونظير ذلك ما وقعت فيه "**على**" دالة على التحمُّل وثقل التبعة قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾ (القصص: الآية ٢٧)، يقول الدكتور/ الخضري معلقًا على سر التعدي بـ "**على**" دون "**اللام**": " لمَّا كان الزواج بابنة شعيب منفعة لموسى طلب منه شعيب في مقابله مهرًا لها؛ أن يتحمل أعباء العمل معه ثمانية أعوام، وجاءت "**على**" مشيرة إلى هذه التبعة التي ألقيت على كاهل موسى، وما يوجبه تحمُّلها من وفاء بما تعهّد به، والتزام بأداء ما اشترطه عليه، وما أصعب ذلك وأشدَّه... وليس هو معنى غير معنى الاستعلاء، بل هو منبثق ممّا توحي به من التحمُّل والمشقة، وما تومئ إليه من إحساس بوطأة الالتزام وثقل المسؤولية. ولو أنك جئت هنا باللام، فقلت: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾ لأشعر ذلك بأن شعيبًا يسعى إلى نفع يعود إليه، ويدفع ابنته ثمنًا له، وهذا ما لا يليق بمؤمنة حَصَانِ كابنة شعيب، ولا بمقام أبيها. لكنك مع "**على**" تشعر بكرامتها، وعِظم المهر الذي يتحمله موسى في سبيل الارتباط بها، وذلك سر إيثار هذا الحرف في موضعه"[(١)]، ثم انتقل الرسول (ﷺ) إلى بيان من اختصهما بالسعي عليهما، ووصفهما بأوصاف تظهر منتهى حاجتهما إلى من يسعى

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص ٩٧، ٩٨.

عليهما، فقال:" **الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**" فعبر بلفظ " **الْأَرْمَلَةِ**"، وهي التي مات عنها زوجها، وسميت أرملة لذهاب زادها وفقدها كاسبها وإن كان عيشها صالحًا به(١)، فهي بهذا المعنى في أشد الحاجة إلى من يسعى عليها، كما أنه (ﷺ) عبَّر بلفظ " **الْمِسْكِينِ**" الذي يدل على منتهى ذُلِّه وهوانه فالمسكنة يدور معناها على الخضوع والذِّلة وقلة المال والحال السيئة(٢)، وهذا مما يشعر بشدة حاجته إلى من يسعى عليه، وهذا فيه من الاستعطاف والاستمالة ما فيه.

وعبر الرسول (ﷺ) بالمفرد وأراد الجمع؛ للإشارة إلى أنه لا يلزم للحصول على هذا الجزاء السعي على جميع الأرامل والمساكين، وإنما سعيه على أرملة واحدة ومسكين واحد يكفي؛ وذلك لشدة حاجتهما، فينال هذا الجزاء العظيم والتعبير بالمفرد مرادًا به الجمع له نظير في القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ (مريم: من الآية ٤) حين ترك جمع العظم" لطلب شمول الوهن العظام فردًا فردًا قصدت مرتبة ثامنة، وهي ترك جمع العظم على الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فحصل ما ترى وهو الذي في الآية ﴿ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ "(٣).

وهنا سؤال: إذا كان الجزاء يحصل بكل واحد منهما على حدة، لِمَ لم يقل الأرملة أو المسكين؟

الاقتران بينهما للدلالة على أنهما في الجزاء سواء، بمعنى أن السعي إذا كان على الأرملة وحدها أو المسكين وحده، فإن الساعي على أي واحد منهما

(١) ينظر: اللسان، مادة: (رمل).

(٢) السابق، مادة: (سكن).

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه/ نعيم زرزور، ص٢٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

سيكون هذا جزاءه.

وقدَّم الأرملة على المسكين؛ لأن حاجتها إلى السعي أشد ، فالمسكين من الممكن أن يطوف على الناس ويُحصِّل قوته بنفسه، ولكن المرأة يتطلب لها الستر والعفة، وهذا مما يُغري بالسعي عليها، فالملاحظ أن الاثنين اشتركا في الوصية بهما نظرًا لحالتهما لكنه (ﷺ) قدَّم من هو أشد في الحاجة على غيره، وهذا جانب إنساني من الرسول (ﷺ) راعي فيه تقديم من هو أشد في الحاجة، وكلما اشتدت حاجتهما اشتدت الوصية عليهما، كما يبرز لنا مدى اهتمامه بـ" **الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**" عدم التقييد بالقرابة؛ لئلا يكون اهتمامه بسبب قرابتهما.

ثم زاد الرسول (ﷺ) في وصيته عليهما مما يبرز لنا شدة عنايته واهتمامه بهما فصرَّح بأداة التشبيه "**الكاف**" التي تجعل المشبه عين المشبه به، ثم اختيار لفظ " **الْمُجَاهِدِ**" للإشارة إلى عِظم العمل مما يُشعر بِعظم الجزاء، فهو: من جاهد العدو مجاهدة وجهادًا: قاتله وجاهد في سبيل الله. والجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل(١)، فمعناها يدور حول بذل النفس ومغالبة الهوى، وكذلك الحال بالنسبة للساعي على " **الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**"، فهو يبذل كل ما في وسعه للسعي عليهما، وصيغ المشبه به" **الْمُجَاهِدِ**" في قالب اسم الفاعل ليتناسب مع صياغة المشبه " **السَّاعِي**"؛ ليشعر بملازمته للجهاد وعدم انفكاكه عنه، كما أن الساعي مداوم على السعي ملازم له، وقيدَّ المشبه به " **الْمُجَاهِدِ**" بكونه " **فِي سَبِيلِ اللهِ**" ليحرر الساعي نيته في السعي، فكما أن المجاهد يكون جهاده خالصًا لله، فكذلك الساعي ينبغي أن يكون سعيه على" **الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**" خالصًا لوجه الله لارياء فيه ولا شبهة.

(١) ينظر: اللسان، مادة: (جهد).

الترقي في الجزاء للترقي في العمل:

ولم يكتف الرسول (ﷺ) بهذا الجزاء، فعلى قدر تفاوت المشقة مع" **الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**" يكون الترقي في الأجر، فقال :" **كَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ**" والتقييد بقوله: " **لَا يَفْتُرُ – لَا يُفْطِرُ**" يتناسب مع التقييد في قوله: " **فِي سَبِيلِ اللهِ**" وهو احتراس[1] قُصد به المبالغة في العمل وديمومته عليه " فهو كالملازم للعبادة ليلًا ونهارًا في دوام الثواب واستمراره بدوام العمل الصالح"[2]. وهذا المعني هو الذي يتناسب مع صياغة اسم الفاعل " **الْقَائِمِ . الصَّائِمِ**" ومن جانب آخر يتناسب مع المداومة على السعي، فليس المقصود من الحديث مجرد السعي، وإنما المداومة والثبات عليه، ففرق بين أن يفعل الفعل مرة ومرات وبين أن يداوم عليه، كما أن تعدد الجزاء فيه تفخيم وتعظيم لمنزلة الساعي وهذا يعكس لنا تفخيم وتعظيم شأن " **الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**" وشدة حاجتهما ووجوب العناية والاهتمام بهما، وحث وترغيب للغير على السعي عليهما.

لماذا عظَّم الرسول (ﷺ) جزاء السعي على الأرملة والمسكين؟

عظَّم الرسول (ﷺ) جزاء السعي على" **الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**"؛ لأنه ليس مجرد سعي، وإنما ملازمة السعي والمداومة عليه، ففرق بين أن يحث على السعي وبين أن يحث على المداومة عليه، كما أن هذا العمل شاق على النفس من حيث إن وساوس النفس فيه كثيرة ومداخل الشيطان فيه أكثر فكانوا عُرضة للتخلي والبعد عنهم ولذلك جمع بينهما وقدَّم المرأة على المسكين لأنها المدخل في هذه الشبهة فـ " القيام على المرأة بما يصلحها وما يحفظها ويصونها، لا يتصور الدوام عليه

(١) الاحتراس: هو أن يؤتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدى، ٣٥٥/٢، مكتبة الآداب، ط: السابعة عشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٢) دليل الفالحين، ٨٤/٣.

إلا مع الصبر العظيم، ومجاهدة النفس والشيطان، فإنهما يكسلان عن ذلك ويثقلانه، ويفسدان النيات في ذلك، وربما يدعوان بسبب ذلك إلى السوء ويسولانه ولذا قل من يدوم على ذلك العمل وأقلَّ من ذلك من يسلم منه فإذا حصل ذلك العمل حصلت منه فوائد كشف كرب الضعفاء وإبقاء رمقهم وسدّ خلتهم وصون حرمتهم"(١).

والمتأمل هنا يجد أن ما يدعو إليه الرسول (ﷺ) يمثِّل فلسفة الإسلام التي تدعو إلى الوحدة والتعاضد والتكاتف كما في قوله (ﷺ): "**مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم ، وتَرَاحُمِهِم ، وتعاطُفِهِمْ . مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى**"(٢)، فلا يبقى عضو في المجتمع لا يلتفت إليه، بل الأعضاء تتكاتف وتتعاون وتتآذر.

ومن ثمَّ بان لنا من خلال هذا الأسلوب المحوري " **التشبيه**"، ومن خلال تحليل أسرار صياغته مكانة الضعيفين" **المرأة – المسكين**"، وذلك من خلال بيان منزلة الساعي عليهما، الأمر الذي يدفع إلى العناية بأمرهما، والاهتمام بشأنهما وبذل أقصى الطاقة في رعايتهما.

(١) المفهم للقرطبي، ص ٦١٣/٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم : (٢٥٨٦).

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد،

فهذه دراسة بلاغية تحليلية للأساليب البلاغية التي وظفها الرسول(ﷺ) في إعرابه عن الاهتمام بالضعفاء في الوصية بـ **[اليتيم . المسكين . الأرملة]** وهذا ما ينبغي أن يحرص عليه كل مسلم، ويتواصوا فيما بينهم، وقد انتهت الدراسة إلى نتائج متعددة منثورة في ثنايا البحث، ومن أهم هذه النتائج:

- وردت الوصية بـ **[اليتيم . المسكين . الأرملة]** في البيان النبوي في الصِّحاح السِّتة في(٢٤) أربعة وعشرين موضعًا، ورد ذكر اليتيم في (٧) سبعة مواضع، والمسكين في (١٥) خمسة عشر موضعًا، والأرملة في (٢) موضعين، وفي هذه المواضع اقترن " **المسكين**" بـ "**اليتيم**" في (١) موضع واحد، واقترن " **المسكين**" بـ " **الأرملة**" في (١) موضع واحد، واقترنت " **الأرملة**" بـ " **اليتيم**" في (١) موضع واحد.
- تكامل البيان النبوي مع البيان القرآني في الحث على إكرام الضعفاء **[اليتيم . المسكين . الأرملة]** وفي العناية بهم، والاهتمام بشأنهم.
- أنَّ الرسول (ﷺ) قد اعتمد في بيان مكانة الضعفاء **[اليتيم . المسكين . الأرملة]** أساليب بلاغية محورية تصوِّر عِظم مكانة هؤلاء؛ حيث الأسلوب الخبري **(القصر – الشرط – الترقي)** وكذلك الأسلوب الإنشائي **(الأمر . النهي– النداء)** وأسلوب التشبيه، وهذا التنوع نادى عليه سياق الكلام، والغرض المقصود.
- من الأساليب البلاغية المحورية التي اعتمدها الرسول (ﷺ) في بيان مكانة الضعفاء **[اليتيم . المسكين . الأرملة]** أسلوب (**الأمر**)، الذي تكرر في بنية الحديث، وذلك لما لهذا الأسلوب من طاقة فاعلة في الحث والمبادرة إلى

امتثال المقصود.

- اعتمد الرسول (ﷺ) في إبراز مكانة الضعفاء أسلوب (**النداء**)، والذي تصدَّر بنية الحديث، وكان النداء بصيغة لها خصوصية تنبىء عن عِظم المنادَى(**اللهم**) وأهمية من ينادى لأجله، وهذا عناية واهتمام.
- إنه لما كان (**التشبيه**) ذا أثر فاعل في توضيح الفكرة وتجليتها، فقد اعتمده الرسول (ﷺ) في بيان هذه المكانة.
- إنَّ زيادة البيان في التوضيح والتقرير اقتضت من رسول الله (ﷺ) أن يقرن اللغة المنطوقة باللغة الإشارية زيادة في تقرير المعنى وتوكيده.
- إنَّ البيان النبوي اتخذ مسالك في بيان تصوير هذا الاهتمام، وذلك من خلال الترقي في مضاعفة أجر الكافل، والساعي،....إلخ.
- اعتمد الرسول (ﷺ) أسلوب الترقي في عنايته بالضعفاء؛ وذلك لزيادة الترغيب في الحفاظ عليهم، وتصعيد التحذير من إهانتهم، كما استخدم من الأساليب الخبرية أسلوبي (**القصر والشرط**)، وذلك لما يمتازا به من مزيد التأكيد.
- تنوع بنية الحديث في الوصية إيجازًا وتفصيلًا، مع ما جاء في الوصية بهؤلاء في البيان القرآني، فتارة ينفرد الحديث بالوصية بواحد منهم، وتارة يجمع بين الاثنين، وتارة تنظم الوصية بواحد ضمن ما يوصي به النبي (ﷺ).
- لم يكن اهتمام الرسول (ﷺ) بهؤلاء الضعفاء غريبًا عليه، وذلك مراعاة للجانب الإنساني من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه (ﷺ) قد خاض تجربة اليُتم والمسكنة.
- تعاضدت خصائص اختيار المفردات والتراكيب والبيان مع الأساليب البلاغية المحورية في تحفيز المتلقي وحثِّه على إنجاز ما يريده الرسول (ﷺ).
- غلبت أساليب التوكيد في أحاديث الوصية بهؤلاء الضعفاء، وذلك لإقناع

المتلقي ودفعه إلى المقصود.

- برزت مكانة اليتيم في البيان النبوي وذلك من خلال اقتران كافل اليتيم مع النبي (ﷺ) ومصاحبًا له في الجنة.
- صعدَّ الرسول(ﷺ) جزاء التعدِّي على أكل مال اليتيم عندما عدَّه من السبع الموبقات، وقرنه بالشرك بالله – تعالى–، وأكل الربا، ....
- حرص النبي (ﷺ) على بيان التفاوت الرُّتبي في درجة المسكنة، وأن الثواب يعلو مع شدة الحاجة: فالصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القُربى صدقة وصلة، والمسكين الذي يتعفف يتفاضل على المسكين الذي ترده اللُّقمة واللُّقمتان.
- جمع الرسول (ﷺ) في وصيته بالضعفاء بين أسلوبي الترغيب في العناية بهؤلاء الضعفاء تارة وبين أسلوب الترهيب الذي يحذِّر من التعدِّي عليهم، وإهانتهم تارة أخرى.
- لم يسلك الرسول (ﷺ) في الترغيب في الحفاظ على هؤلاء الضعفاء ولا في التحذير من الاستهانة بشأنهم مسلكًا واحدًا، وإنما كان – غالبًا– مايمهِّد لما يريد أن يقوله في شأنهم بمقدمة تمهيدية استدراجية تهيىء العقول، وتنبه الأذهان إلى المقصود فيقع موقعًا مؤثرًا.
- استخدم الرسول(ﷺ) في التعبير عن هؤلاء الضعفاء، مايشي بشدة رعايتهم والحفاظ عليهم **[الضعيف–اليتيم . المسكين . الأرملة]**.

هذا: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود من الآية: ٨٨]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر.

[١] الأدب النبوي، تأليف/ محمد الخولي، دار المعرفة . بيروت ، ط: الرابعة، ١٤٢٣هـ.

[٢] أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق / محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

[٣] أساليب القصر في القرآن الكريم، وأسرارها البلاغية، دكتور/ صباح عبيد دراز ، مطبعة الأمانة، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

[٤] الأقصى القريب في علم البيان، للتنوخي، مطبعة السعادة، ط: الأولى، ١٩٨٦.

[٥] إكمال المعلم بفوائد مسلم لأبي الفضل، تحقيق الدكتور/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء – مصر، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

[٦] أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، حققه وترجم لشعرائه/ شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان- النجف الأشرف، ط: الأولى، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

[٧] الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق/ محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل . بيروت، ط: الثالثة.

[٨] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق / صدقي محمد جميل، دار الفكر . بيروت، ١٤٢٠هـ.

[٩] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدى، مكتبة الآداب، ط: السابعة عشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

[١٠] بيان إعجاز القرآن للخطابي (طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول، دار المعارف، ط: الرابعة (د-ت).

[١١] تأملات في القرآن الكريم، تأليف/ أبو الحسن الندوي، دار القلم . دمشق، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

[١٢] التبيان في علوم المعاني والبديع والبيان للطيبي، دار البلاغة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-١٩٩١م.

[١٣] تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، دار الكتب العلمية . بيروت،

[١٤] التشويق في الحديث النبوي الشريف طرقه وأغراضه، د/ بسيوني عبدالفتاح فيود، ط: الأولى، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[١٥] تفسير أبى السعود (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، دار إحياء التراث العربى . بيروت، ط: الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

[١٦] تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط: الثالثة ، ١٤٢٠هـ.

[١٧] جدلية الخفاء والتجلي (دراسة بنيوية في الشعر)، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٧٩م.

[١٨] جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ/ زائر بن أحمد التشيري، دار عالم الفوائد، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.

[١٩] حاشية ابن المنير على الكشاف، دار المعرفة . بيروت.

[٢٠] الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية)، د/ آمال يوسف المغامسي، الدار المتوسطية للنشر . تونس، ط: الأولى، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

[٢١] دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

[٢٢] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط: الرابعة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

[٢٣] الرسائل النبوية (دراسة لسانية نصية) الدكتور / أشرف السيد العربي، دار النابغة، ط: الأولى، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

[٢٤] السمات البلاغية في بيان النبوة، الدكتور/ صبَّاح عبيد دراز، مكتبة وهبة، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

[٢٥] سنن ابن ماجه، المحقق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

[٢٦] سنن الترمذى، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

[٢٧] سنن النسائى، حققه وخرج أحاديثه/ حسن عبدالمنعم شلبي وآخرون، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

[٢٨] شرح أحاديث من صحيح مسلم [دراسة في سمت الكلام الأول] دكتور/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠١٥م.

[٢٩] شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

[٣٠] شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (ﷺ) للنووي، شرح فضيلة الشيخ العلامة/ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة زاد، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

[٣١] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة- الرياض)، ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

[٣٢] شروح التلخيص، دار السرور . بيروت.

[٣٣] صحيح البخاري، دار السلام . الرياض . ط: الثانية، ذو الحجة ١٤١٩هـ - مارس ١٩٩٩م.

[٣٤] صحيح مسلم، تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيرت . لبنان، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

[٣٥] عبدالقاهر الجرجاني: وجهوده في البلاغة العربية، د/ أحمد أحمد بدوي، ط: الثانية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الناشر مكتبة . مصر.

[٣٦] علم البيان (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) الدكتور/ بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:٢، ١٣٨١هـ.

[٣٧] علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، الدكتور/ بسيونى عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، ط: الثالثة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

[٣٨] علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني) الدكتور/ بسيونى عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، ط: الثالثة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

[٣٩] عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر . بيروت.

[٤٠] فتح المنعم شرح صحيح مسلم، تأليف الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

[٤١] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه / محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة . مصر.

[٤٢] فن البلاغة، د/ عبدالقادر حسين، عالم الكتب . بيروت، ط:٢، ١٩٨٤م.

[٤٣] فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى، ط:

الأولى، ١٣٥٦هـ.

[٤٤] كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه، أبو فهر/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

[٤٥] كتاب المطول للتفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٣٣٠هـ.

[٤٦] كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، أبو فهر/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

[٤٧] كفالة اليتيم (فضلها . وجوبها) محمد خلف يوسف، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

[٤٨] لسان العرب لابن منظور، دار المعارف.

[٤٩] لغة بغير كلمات، د/ أحمد مختار عمر، ضمن كتاب (تمام حسان رائدًا لغويًّا)، عالم الكتب، ١٤٢٣هـ-٢٠٢٠م.

[٥٠] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، المحقق/ أحمد الحوفي . بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة . القاهرة.

[٥١] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري، دار الفكر، بيروت . لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

[٥٢] معاني النحو، د/ فاضل السامرائي، دار الفكر، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

[٥٣] المعجم الوسيط (نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة)، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: الثانية (كتبت مقدمتها، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

[٥٤] مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

[٥٥] المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية . دمشق . بيرووت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

[٥٦] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له/ محيي الدين ديب ميستو وآخرون، (دار ابن كثير، دمشق . بيروت) (دار العلم الطيب، دمشق . بيروت)، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

[٥٧] من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، الأستاذ الدكتور/ محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط: الثانية، ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م.

[٥٨] مواهب الفتاح لابن يعقوب (ضمن شروح التلخيص)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

[٥٩] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق / عبدالحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية . مصر.

الأبحاث العلمية:

[١] الرعاية الإنسانية كمتغير لتحسين نوعية حياة المسنات، إعداد د/ أسماء عادل محمد سليم، مدرس التخطيط الاجتماعي . كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية . جامعة الفيوم . العدد (٢١).

[٢] دلالات الارتباط في أسلوب الشرط (دراسة في نصوص من صحيح البخاري) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٠م.

فهـرس الموضوعات

فهرس المحتويات	الصفحة
مقدمة	٢٣٦٧
تمهيد	٢٣٧٣
المبحث الأول: الأسلوب الخبري.	٢٣٧٦
أولًا: القصر.	٢٣٧٥
سياق: الترغيب في تحَّري موضع الصدقة من المسكين.	٢٣٧٧
ثانيًا: الشرط.	٢٣٨٢
السياق الأول: الترغيب في الاهتمام والعناية بـ " اليتيمة".	٢٣٨٣
السياق الآخر:الترغيب في الصدقة على المسكين ولو بالقليل.	٢٣٨٦
ثالثًا: الترقي.	٢٣٨٩
سياق: الترغيب والحث على التصدق على المسكين القريب.	٢٣٩١
المبحث الثاني: الأسلوب الإنشائي.	٢٣٩٣
أولًا: الأمر.	٢٣٩٣
السياق الأول: الترهيب من أكل مال اليتيم.	٢٣٩٤
السياق الآخر: الترغيب في الإحسان إلى المساكين وتقريبهم.	٢٤٠٠
ثانيًا: النهي.	٢٤٠٦
سياق: الترهيب من التولِّي على مال اليتيم.	٢٤٠٧
ثالثًا: النداء.	٢٤١٠
سياق: الترهيب من التعدِّي على حق اليتيم والمرأة.	٢٤١٢
المبحث الثالث: التشبيه.	٢٤١٥
السياق الأول: الترغيب في كفالة اليتيم.	٢٤١٦
السياق الآخر: الترغيب في السعي على الأرملة والمسكين.	٢٤٢٠
خاتمة.	٢٤٢٧
فهرس المصادر والمراجع.	٢٤٣٠
فهرس الموضوعات.	٢٤٣٦